سعد زهير

ما تبقى من حكايات وصور خطوة الساري



محمد بن ظافر

شهادات حول تجربته ونماذج من شعره

ما تبقى من حكايات وصور خطوة الساري



محمد بن ظافر

شهادات حول تجربته ونماذج من شعره



خطوة الساري
محمد بن ظافر





مقدمة

من الصعب جداً أن يكون بمقدور كاتب ما أو باحث، حصر التجارب العميقة، سواء في الشعر أو في غيره من مجالات الحياة في كتاب صغير الحجم كهذا الذي بين يديكم. وتجربة الشاعر محمد ظافر تحتاج إلى مؤلفات عدة يمكن تقسيمها على مجالات مواهبه في شعر العرضة الجنوبية والشعر العامي أو النبطي والشعر الفصيح، فوق تجربته كإنسان تفاعل مع حراك الزمن اجتماعياً وثقافياً وفكرياً واقتصادياً حتى النخاع.

كل هذه العوامل صنعت من شاعرنا عدة شخصيات في شخصية واحدة، كان من الصعوبة بمكان أن يتم اختزالها في كتاب واحد.. إلا أنه قبل كل شيء جهد المقل الذي يؤمل أن يجد بين أهدابكم وفي صدوركم متسعاً لعذره، ومبرراً لتقصيره، على عدم إشباع نهم محبي محمد ظافر، وعدم الوصول إلى مستوى تطلعاتهم في سبر أغوار تجربته كما يؤملون.

لكن الذي قدر له ان يكون في موقف كالذي كنت فيه في ظل التعامل مع فئة الش[illegible] الله مزاجية وتسويفاً وكسلاً، سيعلم جيداً أن الظفر بمثل هذا الإصدار هو الغنيمة [illegible] من هيجاء الكتابة.

فعلاوة على ما أجدني محاطاً به من ارتباطات عملية، فوق فتور حماس قلمي [illegible] عن صهوة الصحافة والكتابة منذ سنوات، وبالتالي فقدي لكثير من مهارات الكتابة ودروب [illegible] أقول فوق كل هذا، فقد أسهم زهد الشاعر محمد ظافر في الضوء والشهرة في تجميد الدماء في عروق قلمي، وقد كان هذا كفيلاً بعدم تحقيق رغبتي في إتمام مشروعي بظهور هذا الإصدار إلى النور.

فوق أن بعضاً ممن دعوته للكتابة يظن أنه أقل من الإيفاء بمكانة محمد في قلبه، حتى أن احدهم أخبرني أكثر من مرة أنه أقل من ان يكتب عن محمد ظافر، وأنا أعرف جيداً مدى اعجابه به حتى أنه كان يسميه (ملك الشقر) ولو أني طاوعت محمداً ومحبوه لما أنجزت شيئاً مما بين أيديكم، فاقبلوه كما هو رغم ما فيه من تقصير يتحمل أبو سامي جزءاً منه بكسله وزهده في الضوء، وبالتالي عدم تزويدي بما لديه، وعدم تجاوبه مع ما طلبته منه. وتقبلوا تحياتي.

سعد زهير

خطوة الساري
محمد بن ظافر



توطئة:

لست إلا واحدا ممن يرون أنهم الأقرب من أو إلى محمد ظافر. وهذه الحالة أخالها في كل قلب وفي كل عين أحد قدر له أن يكون في حضرة محمد ظافر في مجلس أو سفر أو غيره .. فمن يكون في حضرته يعرف جيداً كيف أنه بدماثة أخلاقه ولطفه وأدبه الجم، وتواضع الكبار الذي غدا سجية له، يشعر أنه هو البطل وانه هو الأستاذ والمعلم والشاعر المبدع. فمحمد ظافر بحسن إصغائه وأدبه في الحوار يصنع لديك حالة من الشموخ والعظمة، وأنت تراه مستمعاً كالذي لا ينطق، ثم تراه متحدثاً يتمتع بأقصى درجات ادب الحوار، دون استعراض مكشوف أو متعمد لثقافة أو علم أو معلومة يعرفها جيدا، حتى لا يخالج الشك احداً في أنه متفوق بعلمه أو بشعره، ولا يريد أن يصنع هذه الحالة أبداً .. ولذا ظل أبو سامي محافظاً على مكانته كرجل أولاً يحترم الصغير والكبير، والجميع يبادله الحب والاحترام، ثم كإنسان بسيط على درجة عالية من الصدق والشفافية وكشاعر يتمتع بأقصى درجات الابداع والحساسية.

كل هذه السجايا والمزايا كانت وبالاً على صاحبها، وربما كانت سبباً للقطيعة بينه وبين كثير ممن جايلوه وجمعته بهم علاقة حميمية، إضافة لكونه على قدر وافر من الحياء، وهذا بدوره أسهم هو الآخر في توسيع هوة الخلاف بينه وبينهم، بل ربما بينه وبين مجتمع بأسره.

محمد ظافر وشعر العرضة

في كل المجتمعات تعارف الناس على أن الشاعر الذي نبغ فيهم وذاع صيته بينهم لابد أن يكون لهم. منساقا ومتساوقا مع مناسباتهم وأفراحهم وأعراسهم، ليس كصنو النخلة كما يريد الشاعر، بل كآلة السماع التي تدار متى أراد صاحبها، وتغلق متى ضاق ذرعا منها كما يريد المجتمع.

فمن جهة ربما كان لهم الحق، لأن الشاعر لسان قبيلته وواجهتها أو هكذا يجب ان يكون. خاصة عندما يكون شاعر عرضة ليفاخر في وقت التفاخر ويرد في وقت الرد بالمثل من مدح أو هجاء أو غيره، كما كان الأمر في العصور السابقة.

إلا أن هذا الأمر قد لا يكون على صواب كامل في ظل ما وصلنا إليه من تقارب وأمن وحسن جوار مع كل من حولنا، في وقت أصبح فيه العالم كالبيت الواحد وليس كالقرية الواحدة، واندثرت فيه الحروب وزالت الكروبَ. وقد لا يكون صحيحاً البتة مع شاعر مثل محمد ظافر لم يكن شعر العرضة لديه في يوم من الأيام أكثر من حالة مزاجية يمارسها متى توفرت ظروفها ويرفضها متى لم يتهيأ لها نفسيا وصحيا ومعنويا.

وهذه الحالة هي التي تعارف عليها الشعراء إلا للمحترفين منهم. ومحمد ظافر لم يكن محترفاً بما تعنيه كلمة الاحتراف في يوم من الايام لشعر العرضة، وان جذبه بريقها وعاش معها حالة الزهو التي لم

يشعر بها في مجتمعه الذي عاش فيه، بينما كان يشعر بها جيداً عندما يكون في مكان آخر.

ولـو انه حظي بنصـف مـا حظي به غيره من شـعراء العرضـة في مجتمعات أخرى لأصـبح من أكثر الشعراء اندفاعا وركضا اليها بحرفية ومهنية عالية غير مسبوقة.

وبهذا فإن المجتمع يتحمل مسئولية الإهمال الذي كان عليه أن لا يقابل شاعره به في الوقت الذي يريد منه كل شـيء وينظر فقط إلى ما هو مطلوب من الشـاعر تجاه المجتمع دون النظر الى ما هو مطلوب من المجتمع تجاه الشاعر.

والمبـدع دائماً مهما أظهر صـورة التواضـع والتسـامح والذوبان في تفاصـيل مجتمعـه الا أنه يريد أن يقطف ثمرة إبداعه في حينه، فليس أقل من أن يسـمع (بيض الله وجهك.. ما قصـرت .. كملت وجملت) كأي مبدع يتلمس كلمات الإطراء والشكر والثناء ازاء ما قدم، وهذه حالة أكاد أجزم أنها لم تخطر في بال الكثير، لأنهم يرون أن ما يقدمه واجب عليه وأنه من أبسط حقوقهم عليه ان يكون في حالة جاهزية تامة، حتـى اذا مـا قالوا له في أي وقت: (اطلـب الله)..قال: (طلبنا الله)!!. وهو كذلك مـن جانبه يراه واجباً، لكنه يريد أن يرى الثواب بإذنه قبل أن يجف شعره، ويكره أن يكون مجرد إكمال لطقوس العرضة من زير وصفوف وشاعر ثم ينتهي دوره بانتهاء الحدث وكأن شيئاً لم يكن!! وتلك مأساة الشاعر.

لكم أن تتصوروا مبدعاً يتألق خارج بلاده ثم يعود إليها دون أن يعطى حقه من الاهتمام، ماذا سيكون رد فعله؟! حتما سيكون الإحباط.

أهو الإحباط إذاً ما أصاب الشاعر محمد ظافر؟!

أهو الملل؟!

أهو الإحساس بأن ما يقدمه ليس أكثر من واجب؟

فهناك من سيؤديه إذاً !!

أكاد أجزم أنه هو بعينه.. وإنني وضعت يدي مكان الألم!!

اليتم في حياة محمد ظافر

محمـد ظافـر لو وجد الحفاوة والرعاية والتقدير كما يجب لمبدع مثله لأصـبح له شـأن آخر في شـعر العرضة، ولم يكن ليتوقف أبداً حتى تتوقف الطيور عن غنائها والخيول عن صهيلها والرياح عن صريرها واليتيم عن بكائه.

وآه من ألم اليتم الذي عاشـه أبو سـامي، الذي حتى وهو في أكثر حالاته قرباً وحنيناً وشـوقا لأطفاله وبيته وقراءاته وكتاباته وآلامه وأحلامه، يجد من يحاول أن ينتزعه من هذا الإحساس المتفرد بالنبل تحت

خطوة الساري
محمد بن ظافر



بند (الفزعة والشيمة) !! ليس لشيء إلا لأننا نريد أن يكون متفرغاً للشعر ٢٤ / ٢٤ ساعة بث يوميا ، ولن نجد له أي مبرر لاعتذاره ان هو فكر وقرر الاعتذار بكونه إنسانا ، يمرض كما يمرض الناس، ويسافر كما يسافرون، ويحزن ويتألم ويموت أقرباؤه وأصحابه كالناس أجمعين.. بل نريده أن يكون متأهباً منشداً في كل المناسبات حتى وان كان يئن تحت وطأة ألم ما ، إما لجوع أو لمرض أو نائبة من نوائب الدهر.

ولعل حالة اليتم التي عاشها ابو سامي انعكست بشكل واضح على شعره، ومن يعرف شعره جيداً يجد هذه الحالة تتكرر لديه كثيراً حتى في القصائد التي لا تتحدث عن حالته الاجتماعية، خذوا مثلاً:

قابلتها وأخذت اطالعها مثل (طفل يتيم)

امه توفت والتقى انسانة شبهها فانبهر

ثم نجدها في قصائد الذات.. مثل:

عن دمعة (الطفل اليتيم) وقسوة قلوب البشر

الى أن نصل الى قصيدة الخطايا وهي من أواخر كتاباته حيث يقول:

أشد الحزن(يتم) يكسر الخاطر وأحر الدمع دمع عيون (الأيتامي)

احسب أن محمد ظافر الذي تولى مسئولية أسرته وهو لا يزال في سن مبكرة استشرف آفاقاً بعيدة المدى تجاه هذه المسئولية، قبل أن يستشعر مرارة أيامها وحزنها.. فعاش عصامياً بما تعنيه كلمة العصامية التي تمثلت في جمعه بين التعليم والوظيفة في المرحلة الثانوية، ثم جمعه بين التعليم وشعر العرضة في المرحلة الجامعية. فكانت العرضة بديلا مناسبا عن الوظيفة على الاقل خلال مرحلة الجامعة أو هكذا كان يريد قبل أن يجد نفسه متورطا بشباكها ومقيدا بحبالها.

العرضة مرة أخرى

لأنني أعرف جيداً كيف تكون حالة الشعر لدى الشاعر وأعرف جيداً كيف يكون الشعر عند محمد ظافر وأعرف جيداً نظرة غالبية المجتمع للشاعر، ولشاعر العرضة الجنوبية على وجه التحديد .. أقول: لأنني أعرف كل هذا وذاك فقد كنت الأكثر تأييداً لمحمد ظافر بكف صوته عن شعر العرضة الجنوبية.

العرضة لدينا اوشكت على الاندثار، ولازالت تصارع في رمقها الاخير، وكادت أن تكون وصمة عار على جبين صاحبها، ولعنة تلاحق مرتكبيها بين محلل ومحرم ومجرم، ولولا جرأة البعض لأصبحت العرضة لدينا رجساً من عمل الشيطان لا يُقرُ به ولا يقربه إلا من كان في نفسه شيء من عمل الجاهلية.

فمنذ وصول المد الديني المتشدد الى القطر الجنوبي والعرضة بين مؤيد ومعارض، بينما كان الناس

ولازالوا يعيشـون معها صراعا غير مستقر بين ما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم، وما يجدون فيه متنفسا لهم وفسـحة للتعبير عن مشـاعرهم، وبين ما يتردد من أقاويل بتحريمها وتجريم مرتكبيها .. الا ان كثيرا منهم لاسـيما كبار السـن، كانـوا اذا أقام فيهم القوي (معراضـا) قامـوا معه وإن أقام فيهم الضـعيف (معراضا) قاموا عليه.

أضف الى هذا أن مقارعات الشعراء أحياناً قد تجبر الشاعر على النزول إلى مستوى متدن من الشعر الهابط، وهذا بطبيعة الحال لا يليق بمكانة محمد ظافر الشمراني العلمية والتربوية والعملية والأخلاقية، حتى لا يظهر بصـورة مهزوزة أمام تلاميذه الذين كانوا يرون فيه القدوة الحسـنة، وأمام زملائه الذين كانوا يرون فيه القدرة والكفاءة والتمكن من ادواته ومادته.

صـحيح أن العرضـة من هذا المنظور تهدم أكثر مما تخدم، إلا أنها بدأت رقصـة حرب استعراضـية تصـنع الرجال وتعزز مكارم الاخلاق والقيم النبيلة في المجتمـع، وتربي النشء على القوة والمحافظة على الاعراف القبلية الأصـلية من كرم ورجولة وشـجاعة وبسـالة وتكافل اجتماعي، لذلك نجد شعر العرضة يكاد يخلو تماما من قصائد الغزل مع الاعتماد الكلي على شعر المدح والفخر والاعتزاز بالنفس والجماعة الواحدة، الذي يظهر من خلال الصوت الجماعي كدليل على وحدة الصوت والصف.

ولعلي أخلص للقول إن وجود محمد ظافر في شـعر العرضـة كان اشـبه ما يكون بنخلة مثمرة باسـقة الطول في واحة للصـبار وبعض الأعشـاب الصـغيرة، فكان لزاماً عليه إما أن ينحني وإما أن يتنحى.. وقد اختار لنفسه التنحي بلا انحناء.

محد ظافر شاعر النظم

علاقتي بشـعر محمد ظافر قد تكون محصورة على شـعر النظم، وهذا ربما ما أراده لي أخي ومعلمي وأسـتاذي في الشـعر والحياة عبد الله زهير، الذي سبقني الى الشـعر والبشر والنور ومحمد ظافر، حيث لفت انتباهي ووجه ذائقتي نحو محمد ظافر بكونه شـاعرا رقيق العبارة حسـن الصـوت من جهة، وكونه صـديقا له من جهة ثانية يلتقيان دائما لتسـجيل القصـائد على أشرطة كاسـيت، وكنت احضر شيئا من تسـجيلاتهما، وأذكر انني عندما كتبت قصـيدة (سـاعديني يا بقايا الذكريات) وهي القصيدة الرابعة في حياتـي احتفـى بها عبد الله كثيرا وقال: (انت تأثرت بمحمد ظافر وأنا تأثرت بعلي القحطاني وهذا ما ميز قصـيدتك) ثم ظل ينمي داخلي هذا التأثير بعد انتقالي الى جدة للدراسـة الجامعية، وعبدالله كان معدا لصـفحات البلاد النبطية، وكان معنيا بشعر محمد ظافر الذي لا يريد ان ينشر قصائده لولا الحاح عبدالله عليه بالنشر، وهذا ماعمدت اليه عندما تسلمت مهام الديوانية بجريدة الرياضية مع كل قصيدة



انشرها لمحمد ظافر.

تمنيت أن أكون أحد المفتونين بشعر العرضة كما هو الحال لدى بعض من التقيت بهم. ليس لشيء ولكن، أشعر أنني في منأي عن محمد ظافر عندما يكون شاعر عرضة وأنا الذي أدعي أنني الأكثر معرفة ودراية بتجربته الشعرية الثرية، فما التقيت بأحدٍ من عشاق العرضة إلا ووجدته مفتوناً بمحمد بن ظافر حد الهوس. وربما لأن البعض منهم يعرف علاقة الصداقة التي تجمعنا فإنه يريد أن يعزف على الوتر الذي أطرب إليه عندما يتحدث عن بن ظافر ظنا منه انني أحمل في ذاكرتي من شعره في مجال العرضة مالايخطر على بال أحد. إلا أنني ومنذ أن عرفت أبا سامي عن قرب لم أكن على وفاق معه في تكريس تجربته واختزالها في شعر العرضة فقط، فقد كنت ولا زلت أرى فيه ما يراه الآخرون أو ما يرونه، ان محمد ظافر هذا الشاعر المبدع، وهذا الرمز الثقافي الكبير الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، وصاغ أغرب وأعذب وأجمل الشعر، إنه من الظلم أن لا نراه إلا شاعر عرضة فحسب، وإنه من الظلم أن يمر مروراً عابراً على المشهد الثقافي هكذا دون ان يجد أثرا (لخطوة الساري) على حد تعبيره:

نظرت خلفي ما لقيت لخطوة الساري أثر
ونظرت قدامي لقيت هموم تهد الجبال
الليل داجي والرمال الزاحفة موج وبحر
وش خطوة تدفع بها الظلما لكثبان الرمال
ولما أصبح الصبح اكتشفت أن السفر لعبة قدر
سريت بجبال الجنوب واصبحت بطعوس الشمال
لحظة تأمل عشتها فيما نزفت من العمر
لكنها خلتني أسأل نفسي أكثر من سؤال:
عن دمعة الطفل اليتيم وقسوة قلوب البشر
وظلم لقاه من القريب أشد من وقع النصال
عن عاشق ايام الصبا عن زارع الغيمه مطر
عن شاعر قصايده مصاغ ربات الجمال

عن.. عن..وعن. إلى أن يقول :

عن من قضى نصف العمر يحفر بأظافره الصخر
ولا زال يشويه العطش ولغيره الماي الزلال

يا الله (**لازال يشويه العطش ولغيره الماي الزلال**).

قصيدة غارقة في الصدق، طاعنة في الشفافية، موغلة في الألم.. ضاربة بجذورها في أعماق الشعر هناك حيث الدرر واللآلئ والكنوز المخبوءة.

هذا النص مع نصوص أخرى هي ما تجسد شخصية أبي سامي، وان لم يفطن لذلك. فلكم أن تتصوروا أن محمد ظافر وهو المسافر لسنوات طويلة في دروب الجمال والإبداع يكون هو الساري في ظلمة شديدة السواد لا يكاد يرى أثرا لخطوته التي نقشها. وليس هذا فحسب بل إنه عندما يمد نظره للأمام يجد هموما (تهد الجبال) ولعله بلغته الشعرية ابلغنا أنه رأى جبالا من الهموم، وهذا ما يخطر على بال المتلقي للوهلة الأولى بكونها تقع مقابلة (لخطوة الساري) في صحراء لا يعلم أين منتهاها، ورياحها تمسح آثار خطوته.. فهل بعد هذا من عقوق؟

شاعريته الفذة دون أن يتعمد جعلته يختار شبه جملة (خطوة الساري) وفيها اختزال لكثير من المعاني التي يمكن للمتلقي أن يستوحيها من هذه الجملة.. فهناك ساري والساري لا بد أن يكون بليل، وهناك خطوة وخطوة الليل عمياء، بل هي خطوة في شدة السواد، وهو ما يؤكده في البيت الثاني (الليل داجي)، وهناك رمال يمسح بعضها بعضا كأمواج البحر!! ثم يتساءل: ماذا سيكون حال خطوة تدفع بها الظلمة الى الكثبان الرملية ؟! حتما لا شيء.

ألم اقل لكم إنه الإحباط؟!

لا أريد أن أتوقف كثيرا عند هذا النص الذي أجد فيه محمد ظافر واقفا أمامي بسمته وقامته ووسامته وحزنه وألمه وروعة صوته وصورته في كل مرة أستحضر فيها هذا النص الذي مر مرورا عابرا على كثير منا دون أن نعيره حقه من الاهتمام.

سأمر كفيري على ما في النص من مفاتيح تمثلت في (جبال الجنوب.. خلتني أسال نفسي .. دمعة الطفل اليتيم .. قسوة قلوب البشر.. الحلم المجنح في فضاءات الخيال.. عاشق ايام الطفولة.. زراع الغيمة مطر) الى ربات الجمال اللائي فتن بشعره بدورهن.

ولكنني سأتوقف عند البيت الأخير في القصيدة ..

((**عن من قضى نصف العمر.. يحفر بأظافره الصخر**

ولازال يشويه العطش ولغيره الماي الزلال))

هل تتذكرون خطوة الساري في بداية النص.. تتذكرون كثبان الرمال؟

قدر الشاعر هنا أن يحفر الصخر ولكن الصخر الأصم كان أكثر جحودا .. فكأنه المعادل الموضوعي



خطوة الساري
محمد بن ظافر

للكثبان الرملية في اللعبة الشعرية. فقدر الشاعر ينقش بشعره وإبداعه، وقدر المجتمع ان يكون رمالا زاحفة تمسح في لحظات ما نقشه في سنوات عديدة، ليس هذا فحسب بل إنه ((لا زال يشويه العطش ولغيره الماي الزلال)) وهذا قدر الشاعر أيضا يحترق ليضيء للآخرين .. يكتب قصائده بدم قلبه لتكون سلوة للناس وأهازيج يتغنون بها في لحظات أنسهم.. ودُربة الشاعر هنا ومهارته دفعته ليقول (يشويه العطش) أي على نار هادئة ولم يقل يحرقه أو يكويه لأن الاحتراق والكي في لحظات وجيزة عاجلة جدا، بينما الشواء في لحظات متأنية مما يشير في مضمونه إلى استمرارية العطش /الألم / الاحتراق/ الخذلان.. وفي الوقت الذي وهو (يشويه العطش) يكون قد دفع ضريبة إبداعه باحتراقه وعطشه، فينعم الآخرون بعصارة فكره ورحيق شعره وضوء سراجه الذي يحترق به وفيه دون أن يقيموا وزنا أو حزنا لاحتراقه.

ومثل هذا النص الذي يتحدث عن حالة الإحباط عند محمد ظافر نجده في كثير من قصائده، ونجد هذا الاحساس في قصائده بارزا في بعض الاحيان ومخبوءا أحيانا اخرى، خذوا على سبيل المثال:

وين ما روح يتبعني سؤال — يا ترى ويش صابك يا ترى
اعتزلت الأصاحيب اعتزال — وقمت لأعزهم تتنكرا
وصار طبعك سريع الانفعال — وبلا ايا سبب تتأثرا
والسهر شوكة بعينك طال — وصار يغتال لذات الكرى

وخذوا أيضا..

تقلون وشبك..؟ وأنا أنشد مثلكم وشبي ؟
أيامي أعيشها أفكار وهواجيس
وش لون ابرتاح والأيام تلعبي
لعب السلاطين با وراق المحابيس

ومثل هذه النصوص تبرز بجلاء واضح من خلال ما يرد اليه ويرد به على فضول السائلين عن عزلته وانطوائه التي اختارها لنفسه مجبرا، كرد فعل على فعل سابق قد يكون الجحود والنكران مثلا. وأذكر انني كنت أحدهم عندما رميت بين يديه بقصيدة (زعيم الشعر) في بدايات تواريه عن شعر العرضة قبل ١٣ عاما، وقد ترك عاصفة من الصخب بغيابه المفاجئ حتى غدا حديث المجالس كفارس مغوار تولى يوم الزحف.. حينها قلت:

سؤال ايتكرر وين مارحت والا جيت — لماذا زعيم الشعر يزداد تقصيره
تخليت عن ربعك وعن ديرتك شذيت — وهذي حقيقه تودع الشك والحيره
بعضهم يقول انك من ايامها قفيت — وناس يقولون انقلب صاحبك غيره

وناس كثيره همها الضحك والتنكيت تقول الغرور اعمى شعوره وتفكيره
وطال الحديث المر حتى اني انحديت اغير مسار السالفه واقلب السيره
ولما تعدت حدها قمت انا رديت .. على مهلكم نسمع جوابه وتفسيره
فانا خابر انك كل من يطلبك لبيت وتسقيه من كاس الكرم فوق تقديره
متى تفرخ الدنيا متى يستقيم البيت متى الشعر يعلن في قدومك تباشيره

وكانت الاجابة واقعية ومنطقية ردا على ما جاء في القصيدة من تساؤلات:

ومنك العتب مقبول لكن اذا شكيت بمن تقتنع به كيف يقنعك تبريره
وليه اتهامي زور وانا ان وعدت اوفيت وان ادعيت جيت الداعي احث في السيره
ولولا الرفق ماتعبت الاقدام وتعنيت وضيعت وقت ضيعنه تعمي الصيره
واذا كان في قصدك من ايامها ذليت لك احلف يمين يقطع الرزق تزويره
ماقد خفت من شاعر على كثر من لاقيت ولاراعني حفل تصفق جماهيره
لكن خفت تلحقني الملامه اذا غنيت وما في المثل فيني تطبق معاييره
اذا انت لقريبك في مصيبته ماواسيت قطعت الصله واعطيت للكره تأشيره
ومن صاد في الماي العكر واخلف التوقيت اقل اهتمام لمثل شرواه ماعيره
واقول ياجبل من ناعق البوم ماهتزيت وعمر الزمن ما اثرت فيك اعاصيره

ولعل الشاعر استسلم لحالة المزاجية التي لازمته ككل المبدعين مع أنه يتذمر منها ويود لو أنه كان في متناول الجميع كما يريدون، غير أنه لما أدرك أن الشق قد اتسع عن قدرة الراقع لاذ بالصمت..

الصمت مركب حزن والبوح مجداف والذكريات أسياط والليل جلاد
مابين كوخ الفقر وجيوب الإسراف دمعة طفل تعشق زغاريد وأعياد

محمد ظافر شاعر التجديد

محمد ظافر في هذه القصيدة تحديدا انساق مع موجة التجديد في القصيدة العامية، وهو للحق والتاريخ من أوائل المجددين. وقد تفرد بصياغات شعرية غير مسبوقة في الشعر الشعبي، ولم نكن نرى مثل هذه المفردات والجمل عند احد من الشعراء غيره باستثناء الشاعر الامير بدر بن عبد المحسن. ولعلي اتكاء على جانب مضيء من الذاكرة اتذكر شيئا منها مثل: (نامت على عاتق الليل .. مرايا النور..ايد النهار.. على حاجب الشمس .. السهر شوكة بعينيك طال.. انكسارات السهر.. الحسرة تشق ثيابها وتصيح.. جلاد



خطوة الساري
محمد بن ظافر

الحزن.. جبال الصبر منه تسيح ...) وجل قصائده تكتظ بمثل هذه الطرح الذي يندر وجوده آنذاك. ولعلي أتذكر بعضاً ممن انتابتهم صرعة التجديد فيما بعد انهم كانوا يجدون لغةً نادرةً وصوراً متفردة في قصائده قبل أن يركبوا هم موجة التجديد، بل انهم يشعرون أنها أعلى واكبر من مستوى استيعابهم.

فإذا كنا بدأنا ننظر للتجديد عام ١٤٠٩ هـ من خلال صفحة الديوانية التي كنت اقوم بإعداد أوراقها، فقد كتب ابو سامي عام ١٣٩٩هـ أي قبل هذا بعقد من الزمن، وهو لازال في بداياته الأولى قصيدة لازلت أرى فيها تجديداً لم يصل إليه أحد من الشعراء، وهو لم يتعمد التجديد كما فعل من جاء بعده:

صحيح أنه يحليك الذهب واللؤلؤ والمرجان
وفي خدك تحار الشمس وشعاع القمر ينداش
ومن صوتك يغار البلبل الشادي على الأغصان
ويخجل من نسايم عطرك الكادي وبرك الراش
وفي ثغرك ينام الفجر وله من الشفق أحضان
وفي عينك يضيع البحر لوما الشاطئين أرماش
وفي جيدك مرايا النور خطت للقمر عنوان
وفي شعرك تخفى الليل ومن ايد النهار أنحاش

إذا لم يكن هذا هو التجديد فما هو إذا... وإذا لم يكن هذا هو الشعر فما هو إذا..؟! مشكلة أدعياء التجديد أنهم بصروا بالمفردة والبنية على حساب الشعر.. إلا أنه مع محمد ظافر كان متوازناً بقدر كبير حتى أنه ربما ظهرت صورة المباشرة والتقليدية على قصائده، في الوقت الذي كانت تقطر تجديداً مبتكراً لا يتقصده الشاعر بقدر ما يأتي منساقاً بكل عفوية وتلقائية تكشف مهارته وثرائه الشعري والمعرفي.. ما يميز محمد ظافر أنه كان ينهل من معين أكثر عمقاً وأكبر اتساعاً، وهو معين الفصحى الذي فطن إليه وتفاعل مع حركته في سن مبكرة قبل أن يفطن إليه كثير من الشعراء الشعبيين بعقد من الزمن.. ثم جاءوا فيما بعد بمحاولات يائسة لإقصائه من فئة المجددين، بينما كان هو (ينحت قوافيه من معادنها.. وينام ملء جفونه عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم)!! ولم أذكر أنه شغل باله في يوم من الأيام إن هم صنفوه مجددا أم تقليدياً، فما يهمه هو الشعر والشعر فقط. ولعل عدم تقصده وعدم تكلفه في صياغة النص هو ما يفسر سر التباين بين قصائده، لأن الشعر لديه حالة والحالة متباينة أصلاً تأتي كالرحمة أحيانا، وتأتي عذابا أحيانا أخرى.. وليس هناك على مر التاريخ شاعر استطاع النقاد الحكم عليه بالإبداع المطلق، حتى المتنبي.. لو لم يدون عدداً من الأبيات هي ما ميزه عن غيره لأضحى كغيره من الشعراء يدور

في فلك العادي والمكرر.. وهذا ما يمكن أن نقوله عن شعر محمد ظافر.. فعلى سبيل المثال هنالك فارق ابداعي قد يكون ملحوظاً بعض الشيء بين عدد من قصائده.. ففي قصيدة (سعادة عام) تتجلى فيها شاعرية الشاعر بوضوح تام وهو يقول:

سعادة عام ما تقوى لجلاد الحزن ساعة
مثل أوراق منسية تقاسمها اللهب والريح
مثل أحلام ليلة عشق جماعة وفزاعة
مثل رشة عطر تالي شذاها ينتهي ويبيح
وبين العين والدمعة وسوق السمع والطاعة
خسرت الصمت لكني ربحت اللوم والتجريح
متى جتني دقايق فرحتي عجلة ومرتاعة
تبعها الحزن في جيش جبال الصبر منه تسيح
وحطم ما بنته وعاث فيه وغير اوضاعه
وخلف بعده الحسرة تشق ثيابها وتصيح

في هذه القصيدة تحديداً وكثير من قصائده التي كتبت على هذا البحر، نجد شعراً خالصاً مكتمل الأدوات والبناء، وهو ما يطفو على سطح القصيدة أكثر من ظهور المعاناة والجرح، كما هو الحال في قصيدة (الخطايا) وهي من أواخر كتاباته:

الخطايا كثيرة والله الغافر
ما غيره يغفر الأخطاء والآثامي

الفخر والاعتزاز في شعر محمد ظافر

صورة التباهي والاعتزاز بالنفس التي ظهرت جلية في قصائد الشاعر هي صورة مطروقة قل أن ينجو منها شاعر لم يجد الإنصاف ممن حوله. وفي كتاب التفسير النفسي للأدب للدكتور عز الدين اسماعيل، ان المبدع يلجأ الى مثل هذه الحالة عندما يشعر أن الناس من حوله لم ينصفوا ما أنجز، فيبدأ انصاف عمله بنفسه، ثم يتساءل: أصحيح ان الفنان مفرط في حب ذاته وفي تقديره لها واعتزازه بها ؟ وعلى أي نحو؟ وهل يمكن أن يكون الافراط في حب الذات مفسرا لكونه مبدعا أو فنانا؟ أم هي نرجسية خاصة يتميز بها الفنان؟ ويخلص الى أن الفنان لاتقوده الرغبة في تمجيد ذاته، بقدر ما يريد تقصيها. ويضيف:



خطوة الساري
محمد بن ظافر

انها الضـريبة التي لابد من دفعها لكي يفتح الباب الذي يخرجه من العزلة الى ائتلاف جديد مع الناس، وكأنه يتوارى ليظهر من خلال عمله.. وهنا يقول محمد ظافر في القصيدة ذاتها:

وانا رغم المصايب ياعلي صابر
حتى لو عسكرت خلفي وقدامي
يجرحني صاحبي وعيوني تناظر
واتعامى واضمد جرحي الدامي
واتباهى بذكر طيب عاطر
وافخر اني عزيز النفس وعصامي
وان يقولون ولى عهدك الزاهر
قلت يكفيني الزاهر من اعوامي
يوم غيري بلا ماضي ولا حاضر
من غروره يطاول روس الاهرامي
كنت بن ظافر ولازلت بن ظافر
اسمي مايمحي من بين الآسامي
انحفر في الصفا باطراف الاظافر
منكتب بالرصاص وحبر الاقلامي

وأكاد أزعم أن هذه القصيدة كتبها الشاعر بروح شاعر العرضة بدءا من بحرها الجنوبي الذي لو تغنينا به لوجدناه كذلك، وانتهاء باسم (بن ظافر) الذي اشتهر به في ساحات العرضة، وهو الاسم الذي تعمدت كتابته وأنا اتحدث عنه كشاعر عرضة ثم وجدته مصادفة هنا معززا لما ذهبت اليه. ولعل هذا يفسر لنا سهولة اسلوب النص ولغته بكونه سماعيا اكثر من كونه مكتوبا أو مقروءا، وهو ما نلحظه ايضا في قصيدة أخرى كتبت على البحر الهلالي جاء قيها قوله:

انا في عذاب الماضي ازرع سعادتي
واغني مع دقات قلبي ونبضاته
ومن ضحكة المستقبل اطرب مسامعي
واكحل عيون من غبار انتصاراته
وعليت بعيون النشامى مكانتي
ونلت الشرف والعز عليت راياته

وصورة الاعتزاز هذه نجدها حتى في بعض قصائده الوجدانية:

يبغاني اخفض جناحي واطفي اشراقي
وماحبه أحبه وماعافه أعافه
وحب بهالشكل ماترضى به اخلاقي
يصعب على نفسي الحره تعسافه
وش عاد لوكان منه الزين ينراقي
كرامتي فوق حب مخضب اطرافه

وأيضا:

اللي يبي شهد النحل يصبر على وخز الابر
واللي على النصر انفطم محال يرضى الانكسار

محمد ظافر والفصيح

الذين يعرفون محمد ظافر في شعر العرضة والفلكلور الشعبي بما فيه الخطوة واللعب الشهري والمسحباني وكافة الفنون المنتشرة على امتداد الخط الجنوبي من شمال الباحة الى أقاصي جنوب عسير، يكادون يقسمون انه أحد عمالقتها الذين تركوا بصماتهم واضحة جلية كما هو حال بن ثامرة وابو جعيدي وبن عشقه وموسى الخثعمي وبن طوير وبن مصلح والغويد، وليس انتهاء بعبد الواحد ومحمد حوقان، والذين يعرفونه في النظم وأنا منهم يجزمون بما لايدع مجالا لشك أو ريبة، أنه سجل حضورا قويا وحقق فتوحات ابداعية، ودون منجزا هائلا لايمكن اغفاله من الذاكرة الشعبية التي خلدت لنا اسماء مثل راشد الخلاوي ومحسن الهزاني وبن لعبون وبن سبيل ومحمد السديري وبدر بن عبد المحسن وفهد عافت ومساعد الرشيدي. أما في الشعر الفصيح فالدلائل والقرائن التي بين ايدينا تشير الى أن محمد ظافر بدأ حياته الشعرية شاعرا فصيحا من خلال ماكان ينظمه في المناسبات بمباركة من مدير مدرسته آنذاك الاستاذ محمد سعيد بالريش، حسب ماأشار اليه زملاؤه في المرحلة المتوسطة والثانوية، الدكتور ظافر القرني والأخ عبدالله زهير. تجدون شيئا منها في هذا المؤلف. غير انه بعد ذلك وجد الطريق معبدة لشعر العرضة والنظم، ولم تكن كذلك للفصحى التي لم تجد من يبارك خطواتها في داخله إلا بعد سنوات كان قد لمع نجمه خلالها كشاعر عرضة، وذلك حين استدل إليه الاستاذ سياف بن عامر آل خشيل مدير تعليم بيشة ومدير عام تعليم عسير سابقا، وقد استطاع استثماره جيدا في كتابة الملاحم الشعرية التي يشارك بها الطلاب في الاحتفالات العامة.



لحظة الساري
محمد بن ظافر

وطني ابتداءات الزمان ورعشة الأشواق في مهج المدى

وطني أمان الخائفين ودفقة الماء الزلال على ارتعاشات الظمأ

وطني هو الصوت الجميل لذكريات الأرض يرويها التراب إلى التراب

وطني هو الصوت الجهور وما سواه هو الصدى

محمد متمكن من أدوات الفصحى ولا تعوزه متطلبات بنائها فوق موهبته ونخصصه في الجامعة، الأمر الذي عزز لديه هذا البناء بشكل لافت للنظر عند ذوي النظرة الثاقبة. ولو أنه عاش في مكان يحتفي بالمنجز الأدبي والثقافي بقرب أحد الأندية الأدبية ووجد بيئة خصبة لإنماء منجزه الفصحوي لحقق ثروة شعرية تجعله موازيا للعواد وحمزة شحاتة والقصيبي والصيخان وعلي الدميني وغيرهم من شعراء الأدب السعودي.

محمد بوعيه للشعر كان يقول شعر العرضة كقصائد موجهة للمعنيين بها فقط وكأنه لادخل له بسواها من خلال بساطة طرحه وسهولة تراكيبه مع إحساسهم بارتفاع تقنيتها في عهده، بينما ينهج نهجا مختلفا في شعر النظم وهو يقدمه بنمط يثير دهشة الضالعين فيه، في الوقت الذي يقدم فيه الشعر الفصيح بنمط يختلف تماما عن هذا وذاك من حيث اللغة والمفردة وبناء الجمل ذات البناء المكتمل فنا وابداعا وتجاوزا للسائد والنمطي. وهذا ما يظهر في كثير من قصائده الفصيحة التي كتبها منذ بداياته الاولى، ولعلي اتذكر أنه حين كان في الثانوية العامة كتب قصيدة بمناسبة أولى زيارات الامير خالد الفيصل لأدمة شمران قبل توحيد اطرافها تحت اسم البشائر:

بلاد شمران تيهي والبسي حللا
وشنفي أذن الجوزاء ألحانا

فاليوم عيدك والأفراح راقصة
ومعزف السعد بالانغام أشجانا

أما سمعت أهازيجا ترددها
جبالك الشم تقديرا وعرفانا

والطلح عانقه الزيتون فانهمرت
سحائب النور واسقت منه أغصانا

الى أن قال:

استبشري فقدوم الخير مطلعه
ولتطمئني فعين منه ترعانا

ونظرة منك يامولاي كافية
أن تبعث الروح في أجساد موتانا

ومثل هذا الطرح المتجاوز لا يستوعبه إلا قصيدة الفصحى، وقد لا يستوعبه غير المعنيين بالفصحى لاسيما في ذلك الوقت الذي كان فيه من يجيد فك الحرف معدودين بالأسماء، فضلا عن وجود من يجيد فك الشفرة الشعرية، الذين لا وجود لهم أصلا.. الأمر الذي قد يوقع الشاعر في مأزق الفهم الخاطئ لاسيما في البيت الأخير، الذي ربما فهمه البعض فهما سطحيا قد يخرج الشاعر من إطار منهجه مع أن مثل هذا التشبيه هو من صلب المنهج على غرار (من أحيا أرضا ميتة فهي له).

ليس هذا هو كل ما أعرفه عن محمد ظافر.. وأكاد أجزم أخيراً أنني لم أتحدث عنه إلا بقدر ما أعرف أنه سيجيز لي الربع منه.. فما أعرفه عنه أكثر ألماً وأشد وطأة وأعمق جرحاً!! ولولا حرصي على مشاعره واحترام أدبه لتحدثت عنه بما هو أكثر إيلاما وإعلاماً !! لكنني أعرف أنه سيغضب مني ان تحدثت بصدق لذا كنت حذراً حد الجبن أن لا أوقعه في حرج مع أحد وهو الأكثر حرصاً على أن لا يسيء لأحد مهما أوقعه في مأزق..

لك الله يا أبا سامي فكم اهملناك

لك الله يا محمد فكم تجاهلناك

لك الله يابن ظافر فكم لهونا عنك وما أوفيناك حقك

لك الله يا أبا سامي كم قسونا عليك وكم عشنا في غياب عنك

لك الله كم جحدناك وما قدرناك كما ينبغي لك !!

أخيراً .. سيأتي زمن نشرف فيه جميعا اننا كنا من مجايلي محمد ظافر، وسيأتي زمن نحسد فيه على أننا عشنا في زمن جمعنا مع محمد ظافر.. وسيأتي زمن يشتمنا فيه أهله أننا كنا ومحمد ظافر في مكان واحد وزمن واحد ولم نعطه حقه من الاهتمام والرعاية والعناية كما يجب أن يكون لمبدع مثله !! وسيأتي زمن يحملنا فيه أصحابه مسئولية هذا الإهمال والتجاهل الذي مارسناه مع شاعر ليس عادياً في شعره ونبله وأخلاقه وتعامله.

فليس أقل من أن نكون على قدر وافر من الوفاء لمن يستحق الوفاء، والكرم لمن يستحق الكرم، والتكريم لمن يستحق التكريم، لأن تكريم محمد ظافر هو تكريم للشعر، وتكريم لنا، وتكريم للإبداع وأهله، وتكريم لقبيلة الشاعر من أقصاها في سهول تهامة غربا، إلى سراة الحجاز إلى صحاري نجد شرقا.

...انتهى

سعد زهير / ١٤٢٨هـ



الزميل محمد بن ظافر الشمراني كما عرفته

سياف بن عامر آل خشيل

مدير عام تعليم بيشه و عسيرسابقا

العبقريـة هبـة من الله يخص بها من يشـاء مـن عبادة وهي كالمعـدن الثمين الذي لايمكن اكتشـافه واستخلاصه بسهولة إلا بعد أن يمر بمراحل متعددة من التنقيب والصهر.

والإنسان بصفاته الشخصية وخصائصه تمثل الوعاء البوتقة التي تنهصر فيها مختلف المواهب التي يختص بها شـخص دون الآخرين . والأخ والزميل الفاضـل الأسـتاذ//محمد بن ظافر الشـمراني.وكما عرفتـه مـن كثب.شـخص متعدد المواهب، فهـو تربوي من الطـراز الأول كمعلم ومشـرف تربوي وأديب، وشاعر مفوه للشعر الفصيح وشعر النبط ،وفنان ملم بجميع الفنون الشعبية في منطقة عسير بعامة وفنون محافظة بيشـة بخاصـة، كما أنه مبدع في الفن الدرامي. وقد نظم الكثير من الملاحم الشعرية التي شدي بهـا الآلاف مـن أبنائنا الطـلاب في العديد من المهرجانـات الطلابية خلال ربع قرن مـن الزمان وأهمها المهرجانات التي أقيمت علي شـرف خادم الحرمين الشـريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز وعلى شرف ولي عهده الأمين صـاحب السـمو الملكي الأمير سـلطان بن عبدا لعزيز وكذلك على شـرف صاحب السمو الملكي الأمير/خالد الفيصـل /أمير منطقة مكة المكرمة ،وعلى شـرف صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن خالد بن عبدا لعزيز أمير منطقة عسـير إبان زياراتهم لمحافظة بيشـة . ومن أهم صفات هذا الزميل الفاضـل هو تواضـعه وادبه الجم فلم يغتـر بتلك المواهب والعبقرية التي حبـاه الله بها ولم يتباهى بتلك الأعمال الجليلة التي سطرها بفكرة وعبقريتة .

إنـه رجـل ينكر ذاتـه في أي عمل جماعي ويخلـص في اداء واجبه بدون منة ولا ضـجيج او تباهي. ولم يسـتخدم مواهبه الشـعرية في المدح والنفاق والاسـتجداء إلا في تمجيد الوطن والولاء الصادق لولاة الأمر آل سعود أدام الله عزهم.

لقد فرض حبه وتقديره واعتزازي بشخصية وتشرفي بزمالته في أعماق نفسي، وسوف أذكره بكل خير ماحييب فأنعم وأكرم به من رجل فاضل شرف اسرته وقبيلتة ومنطقتة التي ترعرع فيها وموطنه الذي هو إحدى لبناته الصالحة ولا نزكيه على الله .

والحقيقة التي يجب أن اذكر هنا وأشيد بها بكل صدق وأمانة أن القبيلة التي ينتمي لها هذا الزميل الفاضل من قبائل شمران والبيئة التي ترعرع فيها ورشف من رحيقها من خيرة القبائل والرجال، شجاعة وكرماً ووفاءاً صادقاً لولاة الأمر، ووطنية عارمة ،وبروزاً متميزاً في كل الحقولل .

وقد زاملني العديد من أبناء قبائل شمران والذين يتبارون بكل ثقة واقتدار وتميز في طريق الفلاح والنجاح و كانوا خير عون لنا بعد الله في ميدان العمل التربوي فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

واخيراً فلتعش يا ابا سامي إن شاء الله حياة سعيدة وسؤددا دائما وعزا شامخا ولتبقي بلادنا ابد الدهر آمنة مطمئنة في ظل قياتنا الراشدة وحكامنا الابرار آل سعود ادم الله عزهم ونصرهم على من يعاديهم .



خطوة الساري
محمد بن ظافر



فصيح

من ملحمة (وثبة المجد)

و الليل في النزع الأخير
و الصبح يسترق النظر
و ملامح السر الخطير
ضاءت كأضواء القمر
في غرة الطفل الصغير
و الركب يعتزم السفر
حين امتطى ظهر البعير
و سرى على كف القدر
اجتاحه حلم مثير
و تتابعت أحلى الصور
للمجد للوطن الكبير
لطلائع الفجر الأغر
و غدا سيحمله المسير
نحو اللقاء المنتظر
و يعود في ركب الظفر
و يعود في ركب الظفر

>< >< >< >< ><

نادى المنادي للرحيل
و تتابع الخطو الثقيل
يجتاز غابات النخيل

في رحلة المجهول و الدرب الطويل
و مضى إلى لهب الصحاري القاحلة
لا يدري أين يولي وجه القافلة
و بأي ظل تستظل العائلة
و الأم تبقى عرضة للسايلة
و لفتك أنياب الوحوش القاتلة
و بهمة هتكت حجاب المستحيل
و عزيمة كعزيمة السيف الصقيل
و بقوة الإيمان و الصبر الجميل
هزم الصعاب و لم يكف عن الصهيل
هذا هو الحر الأصيل
إذا دهى الخطب الجليل
يثور في أعماقه المجد الأثيل
>< >< >< >< ><
إن ضاقت الأيام و اشتد الزمان
و الهم أضحى كالجبال
فاربأ بنفسك أن تقيم على الهوان
أو ترضى ذل الليال
و اجعل مكانك دائما أعلى مكان
فوق الشماريخ الطوال
و متى سعيت لرفعة و علو شان
و أردت مجدا لا ينال
لا ترهب الأعدا و لا تخش الطعان
و خض المعامع و النزال
لن تسترد المجد إلا بالسنان
و بغيره ترجو المحال



محمد بن ظافر الشمراني

شاعر الرّيادة والإبداع

أ. د. ظافر بن علي القرني

إذا تحدثنا عن الشاعر محمد بن ظافر الشمراني، فإنّما نتحدّث عن الإبداع في أبهى صوره. وأنا لا أستقي المعلومات التي أكتبها هنا من كتب أو رواة، وإنما هي من تجارب عشتها وشهدتها بنفسي، فهو زميل دراسة في المرحلة المتوسطة والثانوية في سبت العلاية؛ دلف إليها من أدمة وجئتها من آل عبيد لإتمام المرحلة المتوسطة رغم بعدها وصعوبة الوصول إليها آنذاك، خصوصا عن قريته والقرى من حولها. وللعلم فقد كنّا محظوظين بافتتاح بعض المدارس الابتدائية في كثير من قرى الجنوب في جيلنا، حيث لم تعهد فيمن سبقنا من أجيال، أي فيما قبل عام ١٣٨٥هـ. إذن البيئة التي نشأنا فيها، إلى ما قبل سن المدرسة، هي بيئة أمّية قلّ فيها من يعرف القراءة والكتابة.

درس محمد بن ظافر المرحلة الابتدائية في قريته أدمة، ثم انتقل إلى المنطقة الشرقية ليدرس بها أولى متوسط، ثمّ عاد إلى قريته، فأتى إلى العلاية ليواصل بها السنتين المتبقيتين من المرحلة المتوسطة. وهنا كان التعارف بيني وبينه، حيث كنت أدرس آنذاك في السنة الثالثة، أي أنني قبل الشاعر محمد بسنة في الدراسة، وليس في السن، فقد نكون من مواليد سنة واحدة، والله تعالى أعلم.

كان محمد بن ظافر شعلة من النشاط في الدراسة والثقافة، فأينما ذهب تفوق. وقد كان من حسن حظّي وحظّه وحظ الطلاب جميعا أن رزقنا الله بمدير مدرسة نادر في زمانه، هو الأستاذ القدير محمد سعيد بالريش رحمه الله وغفر له. فلو لم يكن لهذا لرجل تميزه في التربية والتعليم لكانت المدرسة خاملة، ولما عرف الطلاب في مراحلهم المختلفة عن بعضهم شيئاً يذكر. لقد كان للأنشطة الثقافية التي تقيمها المدرسة دورها الكبير في الكشف عن مواهب الطلاب، وقدراتهم وتعريف بعضهم ببعض، وشغل أوقات فراغهم بما يفيد وينفع.

وكان نشاط ختام العام الدّراسيّ من الأنشطة السنويّة الكبيرة التي يحضرها مدير التعليم في بيشة أو من ينوب عنه. وأذكر أنّ الأستاذ محمد بالريش رحمه الله كان يكلفني والشاعر محمد بقصيدتين، بحيث تكون إحداهما ترحيبيّة والأخرى تعالج أمراً ما اجتماعياً أو تربوياً. من هنا عرفت الشاعر محمد بن ظافر شاعر فصحى، يطرب له من يسمع قصائده، ويعلم أنّه جديرٌ بأن يكون من شعرائها المعدودين. لو كنت آنذاك أجيد وصف الشعر بلغة المتأخرين لقلت: إن شعره سلس العبارة، رصين الأسلوب، سريع التّدفق، كأن أبياته يأخذ

بعضها برقاب بعض. وقد كنّا نتبادل القصائد قبل أن نلقيها ليرى كلّ منّا ما قال صاحبه. وما زلت أذكر قوله: إنك تعمد إلى القوافي الصعبة فتختارها. وقد عجبت له يختار عنواناً لقصيدته في رثاء الملك فيصل هو: «في ذمّة التاريخ» ؛ وهو عنوان، إذا قسته بالمستوى العلميّ الذي كنّا فيه، عرفت أنّه من مبدع.

ولم يكن تعارفنا مقصوراً على المدرسة ومحيطها، بل جمعت بيننا الرّحلات المدرسية والأسفار لخارج المنطقة. من ذلك أنّ المدرسة المتوسّطة رشحت خمسة من الطلاب المتفوقين للمشاركة في رحلة مع نظرائهم من مدارس جنوب المملكة آنذاك لتستضيفهم مدينة أبها، في بيت الشباب، لعدد من الأيام ليروا مصائفها ومرابعها، وليزوروا ما أمكن من مرافقها؛ فكنت أنا والشاعر بن ظافر منهم؛ وقد كانت رحلة من أمتع الرحلات التي عرفتها على الإطلاق. كنا نتمتّع فيها بما نسمعه من الشاعر محمد في دلغان والسودة والمحالة والقرعا (الفرعا) والخميس وغيرها من ألحان شجية مطربة، وقصائد مقارعة بين الشعراء كان يحفظها فيلفت الأنظار إلى قوة ذاكرته، جمال اختياره.

بعد هذا شاء الله أن يواصل الشاعر دراسته الثانوية ليلاً فاستمر التواصل بيننا لسنتين من المرحلة الثانوية، تجمعنا فيها الأنشطة المدرسية واللقاءات العامة المختلفة، وقصائد الشعر الفصيح التي يشجعنا على نظمها الأستاذ محمد بالريش، لتلقى في الحفل الختامي للنشاط أمام مدير التعليم الأستاذ سياف بن عامر بن خشيل أو من ينوب عنه، كما كانت تلقى أمام مدير التعليم الأسبق أو من ينوب عنه، وأظنه من آل الشيخ. وقد كانت مدارس العلاية مرموقة في احتفالاتها على مستوى منطقة بيشة التي تجمع آنذاك جلّ مدارس المنطقة إلاّ ما كان منها حول أبها والباحة. ولعل القارئ الكريم أن يلاحظ حرص الأستاذ الكريم مدير المدرسة على تأصيل الفصحى في نفوسنا علماً أنّه يعلم أن كلاً منّا قادر على نظم الشعر العامي، أو شعر العرضة، بل هما أسهل كونهما متحررين من قواعد اللغة التي لا تستقيم الفصحى إلاّ بها.

ولأن البيئة لم تكن بيئة شعر فصيح، ولا عاميّ منظوم، بل كانت بيئة شعر عرضة، فقد انجذب الشاعر محمد بن ظافر إلى هذه اللون بقوّة، فجاء فيه بما لا يمكن وصفه أو تقريبه للقارئ. لقد أبدع أيما إبداع في لون لم يكن مألوفاً لدى شعراء شمران وعليان وخثعم وبلقرن وبلحارث وبني عمر وبني شهر وشهران وبيشة بقبائلها المختلفة. وهذا اللون هو ما يُعرف بشعر الشقر. ولئن كان هذا اللون مألوفاً عند شعراء غامد وزهران وبني مالك مما يلي الطائف، وفي أطراف تهامة فيما مضى، وعند بني شهر في غير لون العرضة، فإن بن ظافر هو أول من أبدع فيه بغزارة عند من ذكرت سابقاً، وهو من أول من خرج بالقصيدة القصيرة عن مألوف الثلاثة أو الأربعة أبيات إلى الخمسة والستة والسبعة وما بعدها، حيث كان جلّ شعراء هذه القبائل يكتفي بالعدد القليل من الأبيات في شعره. وهو أول من أبدع بثبات غير مضطرب في هذا اللون المعقّد من

خطوة الساري
محمد بن ظافر



الشعر. فشعر الشقر يحضر فيه البناء اللفظي الهرمي بقوّة طاغية قد تجعل الشاعر الفحل يخلّ بالمعنى فما بالك بغيره من الشعراء. هذا العيب الذي لا يكاد يسلم منه شاعر لم يتلبّس به شعر محمد بن ظافر في يوم من الأيام رغم كثرة ما يقيم من الحفلات في تهامة والحجاز والسهول الشرقية من المنطقة إلى بيشة؛ بل إنّه كان يلتزم بقيام الحفلة طالت أو قصرت على هذا اللون من الشعر الذي تجاوز في صعوبته لزوم ما لا يلزم عند أبي العلاء المعري، وفيه من الإجهاد الفكري ما لا يخفى على العارف به. لا ريب أنّ هذا النهج الإبداعي الفريد يدلّ دلالة واضحة على صفاء ذهن الشاعر، وجودة قريحته، وذكائه، وحسن تمكّنه من فنّه.

وأنا لا أقول هذا الكلام من موقع المستمع لما يقال فقط، بل من موقع المشارك؛ فقد جمعتني بالشاعر بن ظافر خمس حفلات أو أكثر، مع شعراء آخرين أو أنا وهو فقط، فرأيته وسمعته فيها بحراً متلاطماً لا ساحل له. كنت أحيانا أقول له بعض الأبيات التي أهم بقولها، فيقول: توكّل على الله لا تسمعني شيئا، لثقته بنفسه في سرعة الرّد وقوته. فيأتي برده وكأنّه هيأه منذ أيام. وكان كثيراً ما يرد على أكثر من شاعر في الحفلة الواحدة، ويكمل قصيدة من حارت به ركابه فيها دون تذمّر.

والشاعر محمد بن ظافر لا يألف المألوف من الشعر، بل لا بدّ من التجديد في المعاني، والألفاظ، والتراكيب؛ فإذا ما أراد أن يسلّم على من ينتظرون وصوله مع القيف الذي هو في مقدّمته، جاء بسلام من أوصافه، مثلاً، أنّ «أولهُ من صفري وتاليهُ مقفزي».

وهو شاعرٌ مثقفٌ واعٍ يكره القبلية المقيتة ويحاربها بمهارة فائقة يستحسنها الخصم العنيد الذي هي عتاده. إذا رأى من يتحفّزُ لمؤثراتها ويهش ويبش لها وهي كثيرة، قال له، مثلا، في قصيدة بديعةٍ من خمسة أبيات:

منك يا جهلْ عذّرنا وملّينا

يوم حط العطيف وحط مشعابه

فتهدأ شياطين الخصم، وتدب في نفسه نخوة من نوع آخر يسير بها الحفل إلى بر الأمان.

ولا ريب أن قصائده كانت بمثابة الفتح الجديد لمن يسمعه من الشعراء. فهو يربط الجغرافيا بالتاريخ في نسق شعريّ معرفيّ قلّ نظيره، فيما سمعت. يأتي إلى بادية من بوادي مشرق الجنوب، بدعوة من رجل من أهلها، فيختم قصيدته الأولى بالبيتين التاليين:

يا سلام الله لكم في المسا وفي المصبّح

البحَرْ حتى البوابيرْ وسعْ ادقالها

فيعلم الشاعر المقابل، ولو لم يعلم من قبل، أنّه في المصبّح وعند رجل اسمه سعد، فتُفتح له نوافذ الرّد

دون إبطاء.

ويدلف الشاعر إلى بني المنتشر في تهامة، فيقول: «مير قولوا للبواخر على الما انتشري»، ليتيح لصاحبه السلام على المنتشري الذي هو في أرضه.

والحقيقة أن هذا الأسلوب الذي اختطه بن ظافر وثبت عليه دهراً طويلا في تجربة قلّ نظيرها، أغرى الشعراء بمصاحبة الشاعر ظناً من كثير منهم أن من السهل البناء على مثل هذا النوع من الشعر؛ والواقع غير ذلك دون ريب. فالمسارعة إلى ظاهر القوافي التي توحي بردٍ من نوع ما، تجعل التنافس في نوعية المعنى ودرجة جودته كبيراً جداً، وهذا يضاعف من مسؤولية الشاعر المقابل إن كان ممن يدرك القيمة الفنيّة لما يقال. زد على ذلك أنّ شجاعة الشعراء في اقتحام الحفلة تزداد إذا كان بن ظافر شاعرها، لعلمهم أنّه لن يخذلهم متى ما أرادوا النصرة، وأنّه يقدر للمقابل موهبته فلا يفدحه بأكثر ممّا يحتمل. ولعل هذه الأمور من الأسباب التي جعلت الشاعر يهجر هذا الشعر إلى غير رجعة فيما يظهر.

والشاعر أبو سامي يمقت السباب والشّتائم ولا يقيم لأصحابها وزناً، ولو كانوا أهل مواهب معدودة. وقد تذكر بعضهم له، فلا يعتدّ بموهبة أحد منهم. وهذا دليل وعيه وسمو نفسه. ولا ريب أنّ لتكاثر ساحات المهاترات والسباب دوراً بارزاً في ابتعاده عن العرضة وشعرها، وهو في أوج عطائه.

لقد شقّ الصديق العزيز محمد بن ظافر الشمراني طريقه بعصاميّة وأمل مفتوح على حياة لا تعمر بسهولة ويسر، فنال الشهادة الجامعية في تخصص تقوم عليه التخصصات كافة، وإن ظنّ من ظن غير ذلك. وقد استطاع أن يتغلّب على نوازع قرى تدفع به نحو الوظيفة تارة، ونحو شعر العرضة تارة أخرى، ونفسٍ طموحة ذات موهبة متوثّبة تطمع في الاستزادة من العلم والمعرفة؛ لتحتلّ مكانها اللائق بها في المجتمع. وقد أحسن صنعاً إذ أصغى لصوت الحكمة، فقدّر موهبته، وكافح من أجلها على قدر ما وسعه الكفاح. لذلك لا تجد الشاعر الكبير محمد بن ظافر في صف من يرغبون تضييع أوقاتهم في المجاملات والشكليات التي لا ثمرة من ورائها. وهذا هو ما حدا بمن لا يعي قيمة الوقت إلى اتهام الشاعر بحبّ العزلة، والبعد عن النّاس. ولعل هذا ممّا دفعه إلى الابتعاد عن العرضة وشعرها في زمن كانت الصولة صولته والميدان ميدانه. وأنا أكبر في هذا الشاعر اتخاذه قرار بالابتعاد عن الحفلات، وأشدّ على يده في عدم العودة إليها، ففي الحياة رحاب أوسع وأفسح تنتظر إبداعاته المتنوّعة. وأدعو كلّ من ملك موهبة كموهبته أن يحذو حذوه ولن يندم.

أتمنّى للأستاذ القدير المبدع محمد بن ظافر حياةً هادئة مطمئنة حافلة بالعطاء والإبداع كما هي عادته مذ عرفته.



خطوة الساري
محمد بن ظافر



حي الزهور

لا سقتك المزن يا حي الزهور
يا معيشني على وهم و سراب

يا معيفني نحيلات الخصور
يا مغير فيني احساس الشباب

قبل أعرفك عمري أفراح و سرور
و عيشتي حلوة و أحلامي عذاب

أنثر الفرحة على أحزان الثغور
و أمسح بشعري متاهات العذاب

و أسترق اعجاب ربات الخدور
و أنقشه حب مثل نقش الخضاب

في الصباح أسابق أسراب الطيور
و افترع بالشوق هامات الهضاب

و في المساء أدس للذكرى سطور
في طرف منديل أو صفحة كتاب

و ألبس من العافية ثوب صبور
لا يلين و لا يلونه التراب

و أمتطي ظل على الرمضا جسور
و أشرب من السالفة عذب الشراب



و أفترش رمل السعادة و الجبور
و أنسج الراحة من أهداب الضباب
و بالأمل أجعل سواد اليأس نور
و أنتزع في خطوتي كل الصعاب
و من عرفتك مات حسي و الشعور
مع إني التبس أغلى الثياب
و أتعلل في بساتين و قصور
و أمتطي برق على وجهه سحاب
و أشهدت عيني على الأحداث زور
و أجعلت من دون واقعها حجاب
ما تشوف إلا رحى الحسرة تدور
تطحن الأيام و تذري الخراب
من عرفتك آه يا حي الشرور
و أنا أعب السم من كأس الرضاب
و انتحر في صمتي إعجاب و غرور
و كل ليله يحترق فيها شهاب



خطوة الساري
محمد بن ظافر

(بن ظافر) (أبو سامي) .. الاسم والمدلول

عبد الواحد بن سعود الزهراني

نادرا ما تدل الأسماء على المسميات، وما حصل في دلالة اسم بن ظافر أبو سامي على سلوكه الشخصي منحة لا يمنحها الزمان الا لعدد محدود من المبدعين، فهو ظافر بكل معاني الظفر و(العلوم الغانمة) وهو سامي الخلق وسامي التفكي وسامي التفرد. بدأ قبله الكثير من الشعراء وبعضهم لا زال موجودا ، وبدأ بعده الكثير الكثير من الشعراء والمتشاعرين والأشاعرة، ولكن رغم قصر الفترة التي أمضاها محمد في ساحات العرضة. ورغم التواري الإعلامي المتعمد عن صفحات صحافة النظم ، وعلى الرغم من انحسار المد الثقافي الفصيح في الآونة الأخيرة، يظل محمد من شعراء الصف الأول مهما اختلفت الميادين وتنوعت مضامير السباق. ويظل حضور اسم بن ظافر يلقي بالكثير من الأسماء من النور الى الظلمات، ومن مقدمة الركب الى الحواشي.

أذكر أنني قابلته مرتين عندما كنت أحاول أن أقرض الشعر في طفولتي، وشعر العرضة لا يقرض بل يحتاج الى أضراس تقضمه وإلا وقع صاحبه في مأزق لقمة المسعودي (فضيحة لو تفلها وان بلعها سمها فيها) وللحق فإن إعجابي بتلك الشخصية الكاريزمية ما يزال أثره في نفسي ما حييت. ذلك الشاب الوسيم الأنيق الجامعي، صاحب الصوت البديع والوقفة المهيبة في احتفالات لا يمكن تشبيهها الا بالمارشات العسكرية. كنت أتأمل كيف يستطيع هذا الشاب أن يجبر (الشياب) على الإنصات له؟ وكيف يستطيع هذا المثقف أن يمرر ما يريد من ثقافته الى مجتمع تغلغلت فيه الأمية حد الجذور، عبر لغة سهلة ومقنعة، كيف يستطيع هذا الشاب أن يمد يده فيأخذ الجميع من الهوة السحيقة التي يعيشون فيها. دون أن يستطيع أحد من دائرة حسن النية أو سوء النية أن يجذبه فتهوي به فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق.

سمعته يقول (وانتم يا غامد أورد ذكركم في كتاب الهمداني) . لا أحد من الحاضرين يعرف أحدا بهذا الاسم. بل أكاد اجزم أن السواد الأعظم لم يقرأ كتابا واحدا لا لهمداني ولا لغيره. ومع ذلك فقد كادوا يزفون بن ظافر كما لو حرر الأسرى أو عبر المانش.

أنا ممن كان يؤلمه غياب بن ظافر عن الساحة لأسباب أولها أن تيار التجديد والتيار الواعي كان يقابله على الضفة الأخرى من النهر التيار التقليدي المتطرف، الذي يرى ان الشعر الجنوبي (تراث) ويجب أن يبقى على ما وجدنا عليه آباءنا. ويشاركهم التيار الذي لا أسميه تجديديا بل أسميه (طفيليا) كتلك

الأعشاب التي تحشر أنفسها بين الأزهار، فإن لم تتم العناية الكافية بالأزهار أخذت هذه الطفيليات حصتها من التربة والماء وضوء الشمس. أقصد التيار الفوضوي الذي لا يبحث الا عن الإثارة كيفما كانت.

غياب بن ظافر وامثاله سيؤدي حتما الى انتصار أحد الفريقين (الأخوة الأعداء) ومن وجهة نظري هذا إنذار بوقوع ما لا تحمد عقباه، فالتيار الأول لن يسمح لشعر الجنوبي أن يقدم نفسه للآخرين، وسيظل متقوقعا ومنغلقا، وبالتالي يمكن أن نقدم العرضة كفلكلور من رقصة وإيقاع وصفوف، ولا يهم ما هو المضمون الشعري الذي تردده الصفوف، والتيار الثاني تيار مرفوض من مجتمعنا مجتمع القيم والأخلاقيات المثلى. وإن لم نرفضه فسوف يبدأ بتغيير الصورة الذهنية عنا من محافظين الى رعاع.

عموما: أشيد بفكرة تكريم الرمز الخالد (ابو سامي) وأتمنى ان لا يكون تكريما عاديا لأن الشخصية غير عادية ولأن التكريم جاء متأخرا جدا، ولأننا نحن زملاء محمد بن ظافر لم نقدم شيئا يستحق الذكر لهذا الرجل.

محمد أوقد شرارة إبداع ستظل وهاجة الى الأبد. محمد الذي سبق زمنه ووضع الأجوبة قبل ان يفكر احد في الشكل النهائي لما يجب أن تكون عليه علامة الاستفهام. محمد بن ظافر الغائب الحاضر، بل الحاضر أبدا في قلوبنا وفي عقولنا وفي ذائقتنا.



خطوة الساري
محمد بن ظافر



على بابك

يجيك يدفعه الحنين و صوتك الحادي على دربه
يسفح عذابات السنين و يغسل أحزانه على بابك
يجتاز نظرات العيون و ماله إلا شوفتك رغبة
لو الثمن عمره يهون العمر ماله قيمة إلا بك
يزعج هدوء الذكريات و من سجل الصمت و الغربة
يجمع شتات الأمنيات و شوق اشعلتيه بغيابك
يجيك يا نجمة سهر يشكي ظروف و حالة صعبة
متاعبه اغبار أسفار و مصاحبه شعر تغنى بك
معه اقتسم خوف الطريق و شال الهم و الكربة
رفيق ما مثله رفيق يهوّن المسرى لطلابك
يجيك بعيونه وهج و احساسه يصور مدى حبه
حتى لو منك انجرح و اتعلقت نظراته أهدابك



في كفه يشيل الحياة و ينثني خوف و رهبة
لعل يقنعك ابغلاه و تمنحينه سالف اعجابك
يومك مطر يومه ثرى لوما ارتوى بك ما نبت عشبه
ويومه سهر و انتي كرى دون الجنون امتدت اسبابك
يجيك و الجيه عذر ما غيرها عذر يتعذر به
مضيع نصف عمره و اسمه ثلاث احروف بكتابك
غواص و انتي دانته جابك عشق من لجة الغبة
و العاطفة ما خانته لو خانته في غوص ما جابك
لكن متى ادموع الفرح تملا عيونه و انتي بقربه
لكن متى عمر الشقا يسعد بشوفك و يتهنى بك



محمد ظافر.. نجم الطفولة والرجولة

عبد الله زهير الشمراني

محمد ظافر٠٠عرفته ذلك الطالب المتميز بالمرحلة الابتدائية

الشامخ بهيبته ووقاره رغم صغر سنه.

الكل ينظر له بإعجاب ودهشة..

حديث الطلاب والمعلمين على حد سواء.

يمر من أمامنا فتقف نظراتنا احتراما لمروره.

يمر، فتمر معه لفتاتنا دهشة لمرور التميز.

الكل يتمنى أن يكون صديقا له..

الكل يتمنى أن يتكلم معه..

كنا نشعر بالفخر حينها.

محمد ظافر نجم منذ نعومة أظفاره.

بل قد لا أبالغ إن قلت انه نجم منذ ولادته.

النجم المتميز في طفولته

وفي شبابه

وفي رجولته .

لا نستغرب أن يكون شاعرا ورائعا ومبدعا ، بل الغرابة أن لايكون به احد هذه العناصر.

محمد ظافر يتمتع بأقصى درجات الحساسية ، وهذه عادة الشعراء.

لايريد أن يخطئ على احد ولا يخطئ عليه احد.

مع انه يميل في كثير من أحيانه للدعابة والمرح والفكاهة.

يبهرك باحترامه

يأسرك بكلامه

يشجيك بصوته

يحلق بك إلى عالم الخيال والجمال بشاعريته.

لاتمل حديثه.

عرفته عن بعد . كما أوضحت . حينما كنا طلابا في المرحلة الابتدائية .

ثم عرفته عن قرب حينما جمعنا الاغتراب لمواصلة الدراسة وعشنا سويا تحت سقف واحد في سبت العلاية.

كان شوق زملائه له ينازعه من طرف

وشوق والدته ينازعه من الطرف الآخر

لكأني انظر الى زملائه حين يتحلقون حوله وهو يتحدث فلا ترى إلا الإعجاب والمهابة.

يتحدث الساعات الطويلة وهم في صمت مهيب إلا من بعض المداخلات التي تذكي وهجه فتتفجر كوامن إبداعاته.

لا أدري عن ماذا ابدي إعجابي به؟ بعفويته أم عبقريته أم احترامه، أم بحديثه أم تفوقه في الدراسة حيث كان ترتيبه الأول دائما؟.

كان يحب القراءة لساعات طويلة، فيمد ساقه المتأثرة ببعض الكسور من جراء حادث انقلاب دراجته النارية (الدباب) الذي امتطاه قبيل المغرب من سبت العلاية ولم يكن الطريق معبدا حينما وصله الخبر أن والدته تريده، فذهب فورا للاطمئنان عليها، ومن جراء سرعته حدث له ذلك الحادث الذي أرقده بمستشفى بالجرشي قرابة شهر.. كان وقتها في السنة الأولى المتوسطة .. حينها قال:

ألا يا رسولي ود خطي لبن جروان

وقله عن أخباري وقله عن أحوالي

اذكر انه بدأ حياته الشعرية في شعر الفصيح وشعر محاورة العرضة في سن لايقبله الجمهور في صفوف الشعراء الكبار، إلا أن إبداعه وجرأته فرضت مكانته بين المتميزين، فسانده محبو التميز ومحبو الإبداع، ومن أولئك الأستاذ محمد سعيد بالريش مدير متوسطة سبت العلاية (رحمه الله) خاصة في شعر الفصيح.

يقف محمد ظافر أمام الطابور المدرسي في تلك السن الصغيرة، يلقي كلمة الصباح، فيتحدث عن الغرب وما توصل إليه من حضارة وتطور، وكأنه يحفز زملاءه على مواصلة العزم والهمة العالية.

كم كانت السعادة تغمرني حينما يتحدث المعلمون في الفصول الدراسية عنه وعن تفوقه ليكون نبراسا لزملائه.

اذكر انه كان في السنة الثانية متوسط ، سنة وفاة الملك فيصل (رحمه الله) صعد على المسرح



المدرسي بحضور مدير عام تعليم بيشة وألقى قصيدة فصحى، منها:

فقالوا قف محمد لاتزدنا
هموما قلت بالله اعلموني
فقالوا قائد النهضة أضحى
قتيلا طوقته يد المنون

وحال انتهائه من القصيدة استدعاه مدير التعليم لينزع ساعته الشخصية ويهديها إليه.

بعد تخرجي والتحاقي بالعمل الصحفي بجريدة البلاد بجدة احضر لي احد الأصدقاء جهاز اتصال من أمريكا متعدد الخدمات، لتسجيل الأعمال الصحفية والمشاركات الشعرية، فكان محمد ظافر يتصل بي أيامها من أبها حينما كان طالبا بالكلية، وأمام هاتف العملة يقاوم شدة برد أبها، وقد وجدتها فرصة لاستغلال طاقات هذا الجهاز في تسجيل مكالمات محمد ظافر، حتى لاتفوتني منه كلمة أو بيت أو قصيدة. بمجرد معرفتي انه هو المتصل افتح جهاز التسجيل، وبعد التحايا ابدأه بالسؤال المعتاد، ماهو الجديد؟ يجيب بعد آهة أو آهتين مفعمتين بشوق وبرد شديدين، وكأنه يستذكر ما يريد أن يقول..

اجل هذي لحظة أفراقك اجل
ولا عاد لي عقب هاللحظه رجوع
أول خدعتني بدموع الدجل
واليوم ماعاد تخدعني الدموع

وفي اتصال آخر: ما هو الجديد ؟ فيقول:

الجديد... إيييه

ليش تبكي وأنت في يوم عرسك ياقمر
طبعا من كثر الفرح وألا مافيه أي سبب
يجعلك تمطر بدمع على خد عطر
ماتخاف الورد يلحقه من دمعك عطب

لن أتحدث عن عطاءات هذا الشاعر، ولا ما لقي من حفاوة واحتفاء في صغره، فذلك يحتاج إلى مؤلف، لكنني أحببت أسطر مشاعري نحو هذا المتألق في رحاب القلوب.

عوامل أسهمت في تميز محمد ظافر

إنسانيته: فهو إنسان شديد الحساسية، شديد التأثر، مرهف الإحساس.

أخلاقه: فلا تكاد تجده إلا هاشا باشا رغم الظروف التي مر بها.

نبله: فهو يذكر الآخرين بمحاسنهم وايجابياتهم وصفاتهم الحميدة.

ثقافته: التي استثمرها في الترابط بينه وبين الآخرين.

إضافة إلى شاعريته التي اسر بها القلوب.

محمد ظافر صديق الجميع (حبيب الجميع) كل من عرفه أعجب به.

أشياء لايعرفها الكثيرعن محمد ظافر

- كان خطيبا لصلاة الجمعة في صغره.

- كان من ابرز لاعبي الكرة الطائرة بل كان اصغر لاعب حينما حظيت مدرسته بكاس المنطقة.

مع ما يجمع بيننا من صداقة وزمالة وحب لم ندون كثيرا من المساجلات الشعرية التي تجمع بيننا سوى عدد من القصائد وبعض الأبيات كقوله:

يابو رعد عيّت الأيام تصفا لي

وعيت تبلغني اغلى ماتمنيته

اسقتني المر واسقت غيري الحالي

من غير مادري وش الذنب اللي سويته

او قصيدته التي مطلعها:

غلطة العمر تبقى جارحه للأبد

مستحيل ايتعالج جرحها مستحيل

ايتجدد مع النسيان يابو رعد

مثل مالشمس يتجدد معاها الأصيل

او قصيدتي التي وجهتها له وكان يسألني هو أيضا عن ماضي أيامي:

الماضي المؤلم أنهيته يابو سامي

أيامي السود مابي ذكر ماضيها

يكفي كفى ماجرالي خابت أحلامي

وآمالي اللي على الإخلاص بانيها

ختاما أسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يحيي شاعرنا محمد ظافر حياة طيبة هنيئة وان يسعده في الدنيا والآخرة، والى المزيد من الابداع والتألق، وصلى الله على نبينا محمد.



خطوة الساري
محمد بن ظافر



زرقة عيونك

أغوص بزرقة عيونك أحاول أكشف المجهول
لكني كلما أحاول أضيع بزحمة الأمواج
ويرجع مركب أوهامي على رموش الخجل محمول
و تتكسر مجاديفي قبالة شاطئ الإحراج
عيونك غابة من الصمت فيها كل شيء مذهول
عيونك كنز رباني محاط من الخفا بسياج
عيونك حرب للأشواق فيها قاتل مقتول
عيونك دوحة للعشاق تتمايل على الأفلاج
عيونك يا عيونك بحر كل ما أبحرت فيه يطول
عيونك يا عيونك ليل ما يضوي عليه سراج
ورا نظراتها رغبة ورا سلهامها مرسول
وفي لفتاتها رهبة وفي غمزاتها ازعاج



بدع

يا الله يامنزلِ ما في المصاحف لتنجينا بها
اكفنا في هجا اللي قال اهجا السما وارضى هجينا
واسمح اللي يقول اني هجيت السما وارضى هجية
والكفو ياولي جدله بطول العمر وله امهلا
واستجب دعوته لاقال ياربي انهلي نهلي
في جنان الخلود امناهلاً عذبه انهلي بها
بعدها ياسلامي عد من خط خط ومن قرا
صافيه من ضميري عد من خط خط ومن قرابه
للعارض والمخيل عد من خط خط ومن قراه
اقوله في محل الجود والجود كلِ له علم
ونا من سالف الايام للجود ومحلِه علمنا
مثل علم اللذي لاحج مكه يرف اعلى منى

سلام عدة ناوي لنهمر مرساله
ضاقت به الوديان والدار سايله



هرب من منصّات الشهرة وأصبح أشهر من نار على علم

محمد حوقان المالكي

محمد ظافر ابو سامي الشمراني، الشاعر الجنوبي الاكثر شهرة على مستوى الجنوب، والاكثر غيابا وهروبا وتواريا عن الانظار.

هكذا يراه جمهور العرضة على اختلاف توجهاتهم، ربما كان يقرأ في خطوط المستقبل ما سوف تؤول اليه العرضة من تناقضات.

لم اجد احد الا يثني عليه ويأسف لغيابه، حتى الشعراء انفسهم وحسب نظرية المؤامرة التي نؤمن بها كعرب يعتقد الكثير ان ابا سامي تم اقصاؤه عنوة عن ساحات العرضة، ولكنني ومن خلال جلسة او جلستين معه عرفت انه اقصى نفسه بنفسه، وان الموضوع وما فيه قناعة شخصية بما حقق من شهرة وحضور واكتفى بذلك.

ابو سامي كان مربيا وشاعرا يملك الحس الشعري والادبي، ولذلك كانت هذه ابرز خطوط المؤامرة المنسوجة لابتعاده، فقد قرأ المستقبل الذي كان يرى ارهاصاته على شفاه الشعراء المتواجدين، الذين كانت نظرتهم لا تتجاوز منتصف قامة ابي سامي، فقرر الرحيل وترك الجمل بما حمل، وتركهم في طغيانهم يتراشقون في ساحات الحروب الكلامية المبتذلة.

ذات مساء كنت انا والشاعر المبدع عبدالواحد الزهراني ومجموعة على رأسهم (سديس –وبن خويتم واسماء لا تحضرني) وكانت الحفلة في سبت العلاية.

وصلت المنافسة فيما بيننا وشعراء بالحارث الى ان قام الشاعر سديس بإكمال قصيدته بنفسه، ولم يترك لزميله بن خويتم فرصة المشاركة، ومن باب المساواة طلبت من الشاعر عبد الواحد ان يقوم ايضا بإكمال قصيدته او ان اقوم انا واكمل قصيدتي مع سديس ويجلس البقية، فقال ابو متعب اني اترك لكم المجال، فقمت انا وسديس وبدات المشادة الكلامية وتزويد القوافي، وبعد ان انتهت الحفلة ومشينا باتجاه الباحة هاتفني صديقي سعد زهير وطلب مني وعبد الواحد أن نشرب القهوة معه، وكانوا على الطريق الى الباحة ومررنا عليه ووجدنا من ضمن المنتظرين وصولنا الشاعر محمد بن ظافر والشاعر عبد الله زهير، ولفيف من الاصدقاء الذين لا تحضرني اسماؤهم، وسلمنا عليهم، وبعد ان اخذنا الحديث وتكلم ابو سامي وقال موجها خطابه لي: الحقيقة انني شاهدت ما دار في الحفل وطلبك الحوار مع الشاعر سديس،

ومحاولة كبح هجومه عليكم، ولم اكن مرتاحا لقرار الحوار الثنائي بينك وبينه.

فقلت: انت يا ابا سامي سمعت ما كان يقول ونحن شعراء محاسبون على تواجدنا وحضورنا.

قال: صحيح ولكن نبرة التحدي التي كنت اسمعها في قصائدك كانت تنم عن غرور والغرور مقبرة المواهب.

فقلت له: صدقت.

فقال: اسمع هذه القصة، كنت في اوج الشهرة والمجد الادبي العرضوي، ولم اكن اسمع الا اسم الغويد يقترن باسم ابي سامي فرأيت من واجبي ان اخفي هذا الاسم او بالاحرى هذه المقارنة، وكنت انتظر أي حفلة للغويد واكون انا طرفا ثانيا، وعقدت العزم على ان اطلب منه محاورة التحدي (اكون او لا اكون) وبالفعل تحقق لي ما اريد، وجمعتنا حفلة عند احدى قبايل غامد ولكني تفاجأت بوجود حاجز بيني وبين الغويد، وكان احد الشعراء واسمه (بلال) ولم يكن بشهرة الغويد مما دفعني الي الطلب من الغويد ان يترك لي فرصة احاور بلال ولم يكن يدور في خلدي انه سوف يستمر معي ولا خمس دقائق. وطلبت بلال بالاسم وبدعت القافية تقريبا (عشرة بيوت) وكملتها، وقام بلال رحمه الله وبدع مثلها بل ان قصيدته كانت قوية وملفتة، ثم قمت للمرة الثانية وبدعت القصيدة الثانية وزودتها بيتين وكملتها، فقام بلال وزود قصيدته اربعة أبيات ليثبت للجميع ولي انه قد التحدي، فقمت للمرة الثالثة وزودت قصيدتي اربعة أبيات على ما قال، فقام وزود قصيدة واذا به يتجلى في بدعه ورده وحواره بقصائد رائعة وحضور رائع وتحد مثير، مما جعل الغويد ينظر الي نظرة الشامت ولسان حاله يقول يستاهل البرد من ضيع عباته.

وقد تعلمت درسا قاسيا من تلك المحاورة.

تعلمت ان الغرور مقبرة المواهب، وتعلمت ان الكبر لله سبحانه وتعالى، وتعلمت ان البادي اظلم، وتعلمت ان لا احتقر احدا او اتهاون بأحد.

هكذا كان ابو سامي تواضع وتجربة وخبرة طويلة، ولم يترك الشعر كما يعتقد البعض، بل انه شاعر مبدع واديب اريب متواجد من خلال الشعر الشعبي والفصيح والمسرحية التعليمية والقصة، ولكنه ربما اشترى راحته النفسية والبدنية وتفرغ للابداع بعيدا عن صراخ الزير وفوضية الجماهير.



خطوة الساري
محمد بن ظافر



تعالي

تعالي من المجهول يا صورة أحلامي
تعالي قبل ما يعمي اليأس عينيه
و يغرق شعاع الصبح في ظلمة أيامي
و تصبح حقايق عمري أشياء وهمية
تعالي قبل ما تنكسر ريشة أنغامي
و عزف النشاز يرافق أعذب أغانيه
تعالي حقيقة قبل ما تنشف أقلامي
و تتلون الصورة بخيبة أمانيه
تعالي نغني للسهر عشق و هيامي
و نحضن على القمرا نسايم جنوبية
تعالي و خلي شوفتك تبعث الهامي
تعالي و خلي ايدينك تعانق ايديه
تعالي مثل ما انتي البارق الشامي
سحايب مطر يروي مطرها صحاريه
و يكسي روابيها مثل خضر الأعلامي
و يجعل مواسمها مواسم ربيعية
تعالي زلال يروي احساسي الظامي
تعالي مواكب نور تضوي لياليه



تـعـالي تـعـالي انـقـذيـني مـن أوهـامـي
و خـلـيـنـي أعـيـش الحـيـاة المثـالـيـة
و من شاش عطفك ضمدي جرحي الدامي
و لـفـي شـرايـيـنـه بـلـمـسـات سـحـريـة
تـعـالي أنـا مـلـيت عـذلي و لـوامـي
و غـربـة احـاسـيـسـي و زايـد مـآسـيـه
و لـك عـهـد مـا اشـكـي لاحـد غـيـرك الأمـي
و لا اكـتـب لحـد غـيـرك رسـايـل غـرامـيـه
لـوحـدك عطتيتي الحـب مفهومـه السامي
و مـيـزتـي بـعـقـلـك عـلـى كـل حـوريـة
تـعـالي تـرى الـصـابـر عـلـى مـرجـل حـامـي
يـعـيـش الـدقـايـق كـنـهـا سـنـين هـجـريـة



خطوة الساري
محمد بن ظافر

نبوغ مبكر ...
وانسحاب مبكر أيضاً

عبد الرحمن الشهري

سأعود إلى الوراء أكثر من عشرين عامًا، وسأنقّب في الذاكرة عن قصائد تركتها هناك ولم أعد إلى ترديدها إلا فيما ندر. قصائد شعراء حفظت قصائدهم في سن المراهقة، ولم أتفحّص جمالياتها إلا فيما بعد، حين تعن لي قصيدة بشكل مفاجئ، أو يذكرني أحد الأصدقاء بقصيدة مخبّأة في مكان ما من ذاكرتي، فتعود إليّ طازجة وكأنها قيلت للتو، وكأنّ شاعرها لا يزال يهزج بها على مسمعي، في طقس أسطوري لا يمكن تجسّده إلا في شعر كشعر العرضة الجنوبية، حيث الزير المتواطئ مع النار ومع خطى العرّاضة الذين يدورون حوله بأسلحتهم الخفيفة وبأحزمتهم العامرة بالرصاص، وفي ذات الوقت يقف الجمهور مراقبا ومتماهيا مع المشهد تماما، وعندما يتوقف الزير تتجه الأنظار إلى الشاعر الذي يقف منشدا قصيدته، وكعادته سيكون حاضر البديهة، سريع الرد على معنى الشاعر الآخر، لا لشيء إلا لأنه نام تحت شجرة الشعر، وشرب في أحد أحلامه حليبا ممزوجا بالشَّعَر قدمته له إحدى الجنّيات، فالقصائد بهذا المعنى تُملى عليه من قبل قوة ماورائية، وليس له أي دور في إبداعها وتأليفها حسب التصور القديم لمسألة الشِّعْر.

كان هناك شاعرا « بني مالك « حوقان وعيضة بن طوير، ،اللذان اقتصرت معظم مشاركاتهما على منطقتهما والمناطق المتاخمة لها من بلاد زهران، وكان هناك أبو جعيدي شاعر « قذانة « الأعمى، الذي كان يشكّل ثنائيا مع نفسه وله مشاركات خارج منطقة الباحة، وكان هناك الغويد وابن مصلح الثنائي الذي رسّخ الحضور الأسطوري لشاعر العرضة في مخيلة المتابعين لهذا الفن الفولكلوري في تلك لفترة، حيث تستمد عظمة هذا الفن من عظمة المكان الذي يمارس فيه، فالجبال شاهقة والطرق وعرة والعرعر شجر صامد في وجه البرد والريح، وكذلك هو الإنسان في تلك القرى المتناثرة على جبال السروات ببيوت من حجر وحقول لا يزيد عرض بعضها على أمتار قليلة.

أعود لا لأعود بل لأرتحل مرة أخرى محمولا على ذكرياتي التي بقيت لي من حياة أظنني عشتها كلفا بشعر العرضة وبشعراء تلك المرحلة الذين أضافوا إلى المدوّنة الشعرية الجنوبية، وأثروا ساحة العرضة بقصائد توارثتها الأجيال المحبة لهذا الفن العريق. ومن هؤلاء الشعراء شاعر شاب التحق بالركب صغيراً،

ولكنه كان ملهماً لكثير من شعراء العرضة المحترفين منهم وغير المحترفين، وكان منعطفاً شعرياً مهماً في منطقته وفي المناطق القريبة منها، وأقصد به الشاعر محمد بن ظافر الذي عُرف بنبوغه المبكّر وانسحابه المبكر أيضا، وبجهوده في إحياء فن الشقر (الجناس) في منطقة شمران وما جاورها. و إليه يعود الفضل في تنشيط الساحة الشعرية الواقعة جنوب مدرسة الباحة، بمشاركة شعراء آخرين من مثل : سعد بن عزيز ومحمد بن ثايب وصالح بن عزيز، إضافة إلى شعراء شمران ممّن جايلوه في أواخر السبعينات الميلادية وحتى مطلع التسعينات .

« السيل في دقلته يمرحبا » مقطع مميز من قصيدة لابن ظافر، ومن ينعم النظر في هذا المقطع سيجد في بنائه براعة تنم عن شاعر أصيل، له بصمة خاصة في تركيب أبياته وفي حرصه على مراعاة الشاعر الذي سيرد عليه، ولدى بن ظافر الكثير من الأبيات التي بنيت على هذه الشاكلة، وكان للشاعر محمد الغويد النصيب الأكبر في الرد عليها، حيث ساهمت ظروف معينة في أن يكوّن الاثنان ثنائيا شعريا، عرفته ساحة العرضة لمدة طويلة، ولا يمكن لمؤرخ شعر تلك الفترة أن يقفز على جمال وجودة تلك القصائد والمطولات التي أبدعا فيها.

ولابن ظافر مساهمته الملفتة في القصيدة (النبطية) والتي لا تقل في مستوى إبداعها عن قصيدة العرضة، فقد كتب قصائد مهمة ومتجاوزة في مرحلة مبكرة من عمر الصفحات الشعبية، وكانت قصيدته حديثة بمقاييس ذلك الوقت، من حيث رقة عباراتها وصورها المحلّقة وبنائها المحكم، ولو أنّ الشاعر أخلص لمشروعه النبطي، لكان له رصيد إبداعي يمكن الرجوع إليه من خلال مجموعات شعرية، تضعه في مصاف شعراء كبار أضافوا إلى التجربة النبطية، وقرئت أعمالهم قراءات نقدية متخصصة وغير متخصصة، ولكنّ الشاعر آثر الصمت والابتعاد عن ساحتها كما فعل مع ساحة شعر العرضة، وبقي اسمه محفورا في ذاكرة من عاصروا تجربته الشعرية.

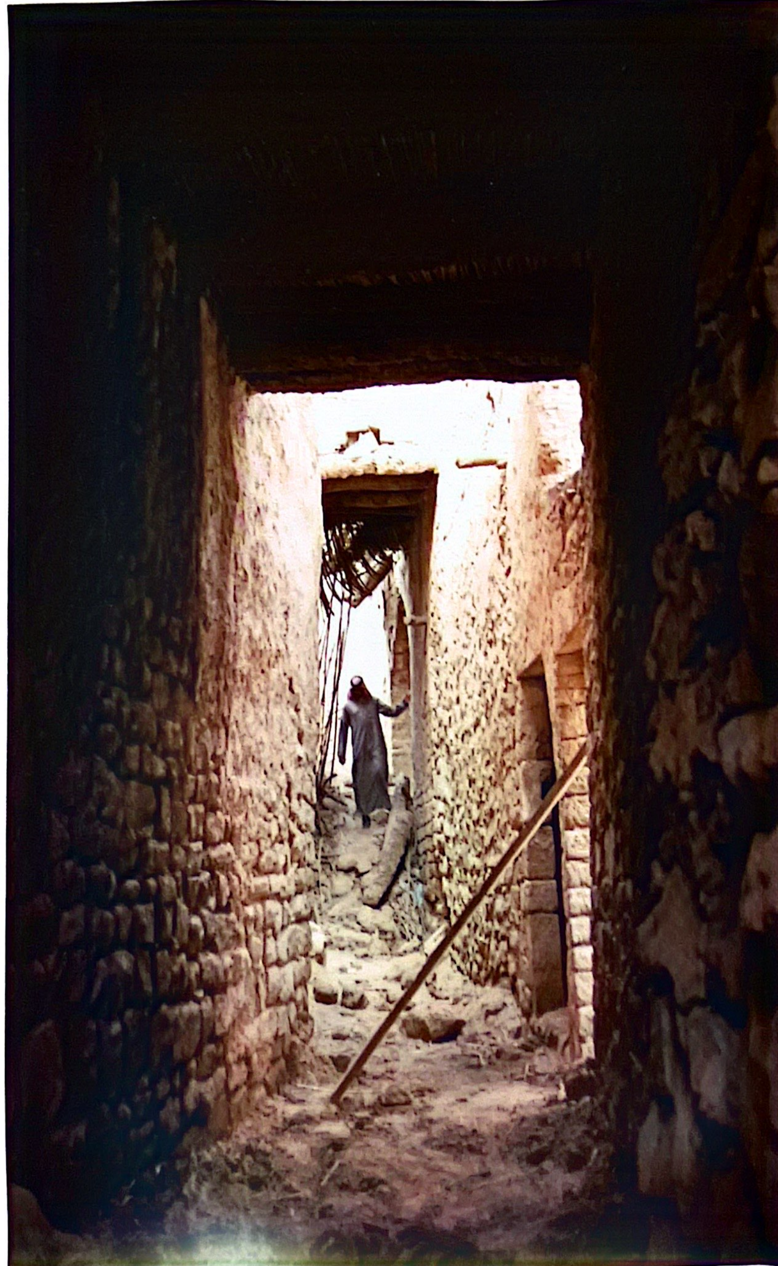
أعود بعد كل هذه السنين لأجد، وبعد طول تأمّل، أنّ الحركة الشعرية في منطقة شمران قد تأثرت بانسحاب محمد بن ظافر من ساحة العرضة، فقد كان لحضوره كبير الأثر في تنشيطها وفي بروز عدد من الشعراء الذين تأثروا بريادته الإبداعية وبمجاراته لشعراء الباحة في سن صغيرة نسبيا، بل أزعم أنّ أثره امتد إلى شعراء المناطق المجاورة كمنطقة بلقرن وبيشة و إلى مناطق أبعد كمنطقة رجال الحجر التي استأثر بأكبر عدد من حفلاتها وبالأخص في الجزء التهامي منها.

هذا الأثر الكبير لا يمكن لشاعر عادي أن يتركه ما لم يكن من وزن الشاعر محمد بن ظافر، ولسوف تذكره ساحة العرضة كأحد شعرائها الكبار الذين أضافوا إلى رصيدها قصائد مميّزة، وشقوا



خطوة الساري
محمد بن ظافر

مبتكرة لم يسبقه أحد إليها، وأتذكّر أنه كان يطل على متابعيه في كل حفلة بقصائد مشغولة بعناية وبشقور جديدة يمزج فيها بين القديم والحديث، ليبهر بها الشعراء قبل المتلقين، ففي كل فن هناك صراع سحرة والمبدع هو من يتفوّق على غيره بابتكار سحر جديد يلفت إليه الأنظار، ويعلي من كعبه الفني، وهكذا كان دأب شاعرنا محمد بن ظافر في الفترة القصيرة التي قضاها في شعر العرضة، لينسحب بعدها ويجعلنا نتساءل: لمَ يكفّ بعض الشعراء عن قول الشعر في مستهل أعمارهم؟! وهل للأمر علاقة بنبوغهم المبكّر كما في حالة شاعرنا المحتفى به؟! وهل سيكون لهم في قلوبنا نفس الحنين فيما لو أنهم واصلوا حضورهم الإبداعي في المجال الذي أبدعوا فيه؟!





المر والحالي

يابورعد عيّت الأيام تصفالي
وعيّت تبلغني أغلى ما تمنيته

واسقتني المرّ واسقت غيري الحالي
من غير ما اعرف وش الذنب اللي سويته

واليوم جتني تخبّرني عن الغالي
اللي أغليته من أعماقي وحبيته

واللي بنيت إله بأقصى القلب منزالي
واللي بكلمه ياروح الروح ناديته

واللي حسبته نهاية كل آمالي
ورجائي اللي معا بعده ترجّيته

جتني تقول العوض في عمرك التالي
ولا عاد تتذكر العمر اللي أفنيته

محمد ظافر.. حضر مبدعا وغاب عملاقا

عواض بن صالح أبو شرارة

(جادك الغيث إذا الغيث همى) .. هذا هو لسان حال ساحة العرضة الجنوبية .. حين تفتش في ذاكرتها عن ذلك الشاعر الذي عاشت معه أجمل سنوات عمرها.. تتذكره حين أدهشها بقدومه المتوقد.. شاب في المرحلة المتوسطة والثانوية.. سطع نجمه وهو في سن مبكرة فأذهل من سبقه من الشعراء.. وحلق بعيداً عن شعراء جيله.. استطاع في سنوات قليلة أن يعيد للعرضة هيبتها التي كادت تتلاشى.. وتمكن وهو في المرحلة الجامعية أن يطوع ثقافته العميقة لصالح الشعر الشعبي.. قدم إلى العرضة وهي تمر بمرحلة ارتباك حقيقية رغم وجود شعراء كبار سبقوه في الميدان.. ولكنهم كانوا يفتقرون إلى هذا الثراء المعرفي.. والخطوات الواثقة .. والثقافة الواسعة.

وكانت ساحة العرضة في قبيلته وفي القبائل المجاورة مازال يجرها الحنين إلى الشعراء العمالقة الذين رحلوا أمثال (موسى الخثعمي) و(صالح بن خضران القرني) وغيرهم.. ولكنها سنة الحياة يذهب عمالقة ويأتي آخرون.. وكان (بن ظافر) على موعد مع الإبداع.. والحضور الباذخ.. في تلك الأيام لم تكن الصحافة بهذا التوسع، ولم يكن الإعلام قد تطور إلى ما نراه اليوم من هذه المطبوعات والقنوات الفضائية.. في تلك الأيام بدأ هذا الشاب يخترق الصفوف.. وبدأ يحدد ملامح الشعر ويعيد التوازن للعرضة الجنوبية.. في منطقته وما حولها.. وحين أمسك الزمام.. أعاد هيبة شاعر العرضة وأعاد للعرضة أصالتها ورزانتها.. وأصبح حديث المجالس.. وأصبحت العرضة التي يحضرها على قدر كبير من الوجاهة.. حتى قيل أن هناك من يشترط على العريس أن يحضر (بن ظافر) لحفلته.. لأنه يعتبره شرفاً لمناسبته. في تلك الأيام كان صوته الشجي يتردد صداه في القرى والبوادي في الحجاز وتهامة، وكان جمهوره يلقاه بالشوق والإعجاب الذي تجاوز الحدود أحياناً كثيرة، حتى نسجت حوله القصص وربطت شاعريته المذهلة بعلاقته مع الجن.. وتفنن الناس في حبك الروايات عن هذه العلاقة التي ينفيها.. ولعل مواقفه في كثير من الحفلات.. تلك المواقف الغريبة التي لا تصدر إلا عن مبدع إلى درجة الإدهاش هي التي جعلت الجماهير تتصور أنه ليس شاعراً فحسب بل إنه (مسقي) أي أن الجن أسقته الشعر.. وتلك المطولات من قصائده.. وتلك الردود السريعة على مطولات بعض الشعراء أثناء العرضة.. وتلك القصائد التي يبقى الشعراء والجمهور يحللون أبياتها ولا يدركون معانيها.

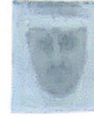
ولكن هذه الشاعرية الفارهة لم تكن لتتعملق لولا وجود مبدعين آخرين.. ولعل أهم الشعراء الذين اصطدم بهم أثناء تلك المرحلة.. الشاعر (أبو جعيدي الغامدي) والشاعر (محمد بن ثايب الشهراني) وإلا فقد واجه الكثير من شعراء القبائل المجاورة قبل ظهور الشعراء الجدد، وإن كان كثير من الشعراء الجدد ليسوا بعيدين عنه في السن.. ولكنه سبق سنه وعصره.. وهذا شأن المبدعين في كل زمان.. وليس المجال مجال تقصي سيرة وحياة هذا الشـاعر، وإلا فتاريخه مليء بالمواقف والطرائف.. ولكني هنا كفيري من أبناء قبيلته ومن القبائل المجاورة من محبيه ما زلنا نحلم أن يعود للساحة، ولكن الشاعر لم تنفع معه النداءات كما فعل (عبد الواحد) في قصـيدته المعروفة، وكما فعل (بن حوقان) كذلك وغيرهم، فقد اتخذ القرار الصـعب بعدم العودة لساحة العرضـة.. وقد تشـكل هذا القرار بناءً على ظروفه الصحية.. وقناعات عميقة يحملها، وقد لا يدركها الكثير من جمهوره الذي يحمل له الكثير من الحب. والحقيقة التي أود ذكرها بهذه المناسبة، أن الكثير ممن يدركون (شخصـيته الشـعرية) يعتقدون أنه يعيش في (برج عاجي) وانه أخذه الغرور والتعالي على سـاحة العرضة، ولكن يشهد الله ما عرفناه إلا في غاية التواضع حتى يشعرك وأنت تحاوره في أمور أدبية أو فكرية أو غير ذلك، بأنـه أقل منك علماً.. رغم فكره الناضـج والواعي.. وثقافته الأدبية الواسـعة.. وعلمه بأمور التراث وشـؤون القبائل.. وتمكنه من اللغة العربية التي كان معلماً مبدعاً فيها.. وكان مشـرفاً تربوياً راقياً .. وما عرفناه إلا محباً لأهل الخير والصلاح.. وما عرفناه إلا نقي السريرة لا يحمل الحقد على أحد، رغم ما لقي من صعوبات وحسد في حياته.. ولعل تواضعه ونقاء سريرته هما اللذان جعلا الجماهير تتعلق بذكره بهذا الشكل الفريد.. هكذا نحسبه ولا نزكي على الله أحداً..

ويكفي (محمد ظافر) أنه دخل ساحة العرضة وأهم مقوماتها وهو (الجناس) أو ما يسمى (الشقر) كاد يصبح في حالة متردية ولكنه استطاع أن يعيد له بريقه، وقد استفاد من تجربته جميع الشعراء الذين قابلوه.. أو أتوا بعده.

ويكفيـه.. أنـه كان في جميع الحفلات التي أحياها يترفع عن سـاقط القول، ولا يجرح القبائل، وهذا أحد أسرار حب الجميع لهذا الشاعر من القبائل كافة.

ويكفيـه.. أنـه لم يكن يسـتغل حضـوره المهيب الذي يشـكل خوفاً وإرباكاً للشـعراء الآخريـن من القبائل المجاورة.. لم يكن يقمع الشـعراء الشـباب.. ولا يطيح بمكانة الشـعراء الذين سـبقوه.. بل كان يأخذ بأيدي الشباب ويوقر الشعراء الكبار الذين لا يستطيعون مجاراته نظراً لفارق الثقافة وغزارة الشعر.

ويكفيه .. أنه ترك ذكراً جميلاً قل أن تجده.. وبشهادة من كان خصماً له من الشعراء.. وهذه الخصومة لا تتجاوز حدود العرضـة.. وإن اجبره أحد خصـومه على الرد سواء من شـعراء قبيلته أو من شعراء القبائل



خطوة الساري
محمد بن ظافر

الأخرى، لجأ إلى الرد (المدفون) كما يقال.. وله ردود كثيرة جداً في هذا المجال. ويكفيه.. أنه أعاد الحياة إلى فن (المسيرات).. وجدد في ألحان العرضة وجعلها تواكب التطور والتجديد الذي حدث في الشعر عامة.

ويكفيه.. أن الناس مازالوا يتغنون بقصائده.. وخاصة (النبطية) التي نتمنى ان يجمعها في ديوان.

أرجو أن يعذرني شاعرنا المبدع.. وأن يعذرني محبوه وجمهوره الكريم، فلست هنا في صدد الكتابة عن سيرته وإلا فلدي الكثير عن هذا العلم.. منذ أن رأيته في قريتنا القديمة في (باشوت) وهو شاب قدم إلينا من أدمة) التي أصبحت (البشائر) فيما بعد.. لا أدري ماذا يقول في تلك الحفلة، ولكنني مازلت أذكر دهشة الناس.. التي تحولت إلى إعجاب شديد.. ومتابعة لهذا الشاعر في كل مكان.. أصبح الجميع يلاحقون حفلاته في الحجاز وفي تهامة وفي ضواحي بيشة وفي المدن.. الشباب وكبار السن. ومرت الأيام.. وجمعنا عشق الحرف.. ومازلت أنظر له نظرة الطالب لأستاذه.. ولولا أن يُحمل كلامي على غير ما أريد لتركت لقلمي عنانه وأبحرت في تجربته في شعر العرضة.. والشعر الفصيح.. والشعر النبطي.. وتجربته الرائعة في التعليم.

عفواً.. أبا سامي.. قصرنا في حقك كثيراً.. وقصر محبوك.. ولكن لعل هذا التكريم هو أقل ما يمكن أن نقدمه لقامة شعرية وإنسانية تستحق التقدير والوفاء. تركت الساحة وأنت في القمة، وتركت قمتك مكاناً «شاغراً» لا يليق إلا بأمثالك. أيها (الغائب الحاضر).. لقد حفر شعرك وأخلاقك الرفيعة اسمك في ذاكرة العرضة الجنوبية إلى جوار العمالقة الذين ذهبوا.

عفواً.. أبا سامي.. مازال صوتك يتردد صداه في جنبات الأودية والشعاب.. وفي قلوب جمهورك الذي يستعذب الحديث كلما ذكرك.. ولا يمل من التغني بروائعك.

عفواً.. أبا سامي.. الست القائل :

وقل يا جبل من ناعق البوم ما اهتزيت
وعمر الزمن ما أثرت فيك أعاصيره

ستبقى (جبلاً شامخاً).. في عيون محبيك.. وحاسديك !!

أتمنى من الأعماق أن يتعلم الشعراء من سيرتك.. وأن يدركوا أنك ما بلغت هذه المنزلة في قلوب أبناء قبيلتك وأبناء القبائل المجاورة إلا لأنك (وضعت العصبية والكلام الساقط تحت قدميك) وكنت شاعراً حكيماً يدرك أن القبائل لها كرامتها ومجدها وشرفها.

وعزاؤنا أنك ودعت الساحة بعد أن رسمت (الأنموذج الراقي) لشعر وشاعر العرضة.

وعزاؤنا أن نتاجك ما زال مستمراً في مجالات أخرى.

وعزاؤنا وعزاؤك.. أنك قدمت قدوم النوابغ.. وساهمت مساهمة المبدعين.. وودعت توديع العمالقة.




بدع ورد

قبل ما قول فاتوني المطاليق وإلا فتهم
يالله يارب لاحديتني عالزلل وعلى التهايم
وانك اتعين ساقي لو مشت في المداين والقرى
وانك تلهم فؤادي لو بنى حكمةً ونسى بنا
خل ناسٍ يقولون العنب ميتٍ واللوز ماتي
والبنادق على روس المحاجي وشا ناشانها
لاهوت ما تداري قاسي العظم وارجال العظام
إلن يقول راعي العلم قرب لي اعلومك وقرني
مثل ماقال راعي الودن لي بيرماين ولك بير
واهل العقل قالوا ما اندم اللي يخالف مندمه
كيف لو ما حصله في دواير هل الحكمة وظيفة
كان خلا الصواعق تصدم الرعد فوق المبرقات

الرد من الشاعر نفسه

ياسلامي على بالقرن في الحز وإلا في التهم
والتحيه نثنيها على حزهم وعلى التهايم
وعلى من تنزل في الهجر والمداين والقُرى
والتحية نكررها على العانية ونسيبنا
بن عوض راس ربعه في نهار الطلب واللوزماتي
يشتري الفايده من كل ديره وشانه شانها
والنسب فايده بين المطاليق ورجالٍ عظام
كيف والناس يقلون النسب بين شمراني وقرني
في مواقف شرف يدرى عليها الصغيّر والكبير
وانا قدر آل حامد واصل الساق سيره من دمه
والتقيت الرجال اللي ثنو لي مواجيبٍ وضيفه
ثم قالوا ارسل التسليم للكل فوق المبرقات

النجم الذي لا يريد أن يلمع

إبراهيم عواض

كان لاسم أبي سامي ألقٌ هائل أتذكره بوضوح الآن عندما كنت أتسلق شجرة طفولتي مائلا نحو الشعر قبل أكثر من خمسة و عشرين عاما، وكان يكفي أن تسمع اسم (بن ظافر) كي ينصت الجميع سواء كان الحديث في مجلس للقبيلة أو كان (معراضا) بشرونا قبله أنه سيحضره.

ذلك الشاب الوسيم الطويل ذو الصوت العذب والحضور البهي، الذي مثّل ظاهرة تُحكى عنها القصص، وتروى القصائد. النجم اللامع في سماء العرضة، وكم منيت نفسي صغيرا أن التقيه أو حتى أقترب منه، وكنت أحسد ابن عمي (عواض بوشرارة) الذي ذكر لي وأنا في أواخر المرحلة المتوسطة في الدراسة أنه التقاه في مدينة أبها أثناء دراسته الجامعية وجلسا و تحدثا، بل وقرأت له حينها تعليقا في دفتر المحاضرات التي تخص عواض وكأني وقعت على كنز ثمين.

محمد الذي عرفته صديقا وشاعرا مثقفا بعد ذلك بعدة سنوات تزيد على العشر سيعرف هذا التاريخ لأول مرة وسيبتسم لكلماتي، وأكاد أقسم أنا الذي أعرف تواضعه المتطرف ونبله الجم أنه سيلتقيني بعدها ليقول إنني بالغت !

عرفت بعد ذلك محمدا الإنسان الشاعر المثقف الذي يبهرك شعره وثقافته وأسلوبه الراقي في الحديث واستشهاداته وقصصه التي لا تمل، لكنه يستحيل أبدا أن يمدح نفسه ولو عرضا، ولو حاولت أن تعلق بشيء من مديح أو أن تذكر له موقفا لاحمر وجهه وغير الموضوع سريعا، وقد قابلت كثيرا من الشعراء وغير الشعراء يثني على (أبوسامي) أعطر الثناء ويتحسر على غيابه وابتعاده !

إن تحدث (أبوسامي) في العرضة وتاريخها وأحداثها، وجدت بحرا غزيرا، وإن ناقش معك فنون الأدب الأخرى، سبر غورها كأحد أساطينها سواء كانت شعرا أو قصة أو مسرحا، وأحيانا أستعرض تاريخ محمد وأقول في نفسي لو أنه اهتم بفن منها وترك البقية وعاند مزاجيته وتواضعه لكان علما على مستوى الوطن العربي بكامله.

محمد مبدع من نوع خاص، مهتم بكل شيء، ويعرف عن كل شيء، لكنه لا يريد أن يبرز أو هكذا رأيت وكأن بينه وبين الضوء عداوة. وقد حاولت مع نفسي أن أتبين عدم مواصلته وعدم لمعان نجمه كما يستحق في فنون الأدب غير العرضة، فوصلت إلى أنه كان كسولا جدا في عرض ما لديه، متعففا في البحث عن

الشهرة، ولو قدر لأحد أن يهتم بتشجيعه على النشر ومصادقة الإعلام وملاحقته، لكنا الآن نقرأ شيئا مختلفا وجميلا لذلك العَلَم الذي حكيت عنه.

أبو سامي رجل فريد في أدبه وأخلاقه، ولا أظن أني سمعته يوما يتكلم بأسلوب ساقط أو يذم أحدا أو يعرّض بأحد، بل يكتفي بتعليقات لاذعة تمس القضايا والظواهر دون الأشخاص، ملحقا ذلك بابتسامة ساحرة يختم بها حديثا عذبا تكاد تلمس فيه ذلك السحر الذي جرى بمحبته في قلوب الكثيرين والكثيرات، وكم هو مليء قلب الشاعر وعقله بحديث الحب والحبيبات، لكن محمدا يشعرك أنه عاش طوال عمره لا ينتقل إلا من بيته إلى مسجده أو مكان عمله.

وعلى ذكر الوظيفة والعمل أحسب أن محمدا من أولئك الذين لا يلينون لقيود الوظيفة ويتمردون على القوانين التي تحد من قدرة المبدع ومحاولاته اختيار مكان وزمن نثره لفرائده وإبداعه، ولا أعرف كيف صبر طوال تلك السنين لقيد الوظيفة رغم تميزه فيها، وتسنمه لمسؤوليات كبيرة في المجال التربوي شاعرا أن لكل ناجح ومتميز خصوما، وأحسب أنه أحس بشيء من ذلك، لكنه كان كعادته نبيلا ومبتعدا عن مناكفة الحاسدين.

محمدٌ المثقف ناقدٌ من درجة نادرة له فلسفته الخاصة تجاه النصوص والمبدعين، ولا تحسب أن نصا أدبيا سيمر عليه شعرا كان أو غيره من فنون الأدب سيسلم من عيني الصقر التي تلتمع في وجهه، لكن محمدا هذا صامت عظيم، حتى تجاه قضايا اجتماعية وأدبية كثيرة، وأظن صمته هذا تعود عليه وتعود محمد على صمته حتى صار من الصعب عليك أن تقبض على صوت محمد.

قابلت محمدا وصادقته في وقت كان قد تشبع بفن العرضة وقدم لها الكثير، لكنه اختار أن يترجل مبكرا، و حاولت أن أفهم ترجله المبكر هذا، لكنني لم أستطع وخمّنت أن روحه المبدعة كانت تريد فضاء أوسع وقد ملّت- كروح المبدعين عادة - فضاء العرضة وشعرها و المتقافزين الجدد على فنها وكل يقول أنا لها.

محمد الإنسان الصديق تدعو الله ألا يمر الوقت سريعا وأنت معه، وأذكر الآن بمتعة وسعادة تلك الرحلات الجميلة النادرة التي كنا نجتمع فيها تحت ظل شجرة بجانب واد جار أو تحت ضوء القمر، متحلقين حول النار ومعنا ثلة من محبي محمد أمثال سعد زهير وعواض أبو شرارة ومصلح خلف ومسفر علي وسعيد سعد، وأخص الشاعر القدير والإنسان النادر عبدالله زهير، الذي مهما بعد عن الشعر والشعراء والصحفيين، إلا أنه ظل صديقنا الدائم وشيخنا في رحلاتنا واجتماعاتنا المتباعدة، وهو القريب من محمد المستفز له كي يتحدث أو يروي لنا قصة قصيدة، وهو بالطبع الرجل الذي عرّفنا على قصائد



خطوة الساري
محمد بن ظافر

محمد في صفحات الجرائد يوم كان البعض يسافر أكثر من مئة كيلو ليشتري جريدة (البلاد) قبل عشرين سنة، لعله يعثر على قصيدة لمحمد أو غيره من المبدعين، ولأبي رعد فضل كبير عليّ في تجربتي المتواضعة جدا في الشعر الشعبي قبل أن أعترف بتواضعها وأنسحب، وقد أخذ بيدي وشجعني كما شجع الكثير، وأغبط نفسي وأفتخر وأنتشي كلما تذكرت تلك الأيام الجميلة، وليتها تعود و أعدُ (أبو سامي) و (أبو رعد) أن أنشد لهما بصوتي الشجي وعليهما الصبر والترديد.

أخيرا لم أحلم في صغري أنه سيأتي يوم مثل هذا وأكتب عن (محمد بن ظافر) الإنسان شاعرا وصديقا وأعدّ هذا شرفا لأخيه الصغير الذي فيما يبدو بدأ يشارك محمدا صمته تجاه الشعر والحياة، وخيرا فعل من سعى لتكريم هذا الرمز الإنسان المبدع، فهذا التكريم على الأقل سيكون بيّنة لنا عند محمد أن الكثيرين أحبوه وافتخروا به وبحثوا عنه وحزنوا لابتعاده ولصمته سواء في مجال العرضة أو في غيرها من الفنون الأدبية التي بزغ فيها جميعا، شعرا ومسرحا ونقدا وكتابة.

أتمنى أن يدرك (أبوسامي) أن التاريخ مزاجي مثله وقد يظلم المبدعين الذين لا يكافحون لمداهنته والبقاء في ساحة الضوء، ومع ذلك فما قدم محمد سيبقى في أذهان الكثيرين وتمنيت لو سطرت قصائد هذا المبدع الكبير، وجمعت وجمع ارثه الأدبي وساعدنا محمد وتخلى عن شيء من تواضعه القاتل أحيانا كي نجمعه.

باسم كل الشباب الذين تتلمذوا على شعر محمد صاحب النكهة الخاصة به أقول: إننا أحببناك أكثر مما تتصور، وأحببنا شعرك أكثر، وأنصتنا له بقلوبنا التي لا زالت تردده عند كل جرح أو لمحة عشق تمر. وباسم أصدقائك المقصرين الذين عديتهم بعزلتك وابتعادك أقول لك: اعذر تقصيرنا تجاهك ومهما باعدت بيننا الدنيا فأنت في قلوبنا دوما، وستبقى رمزا جميلا لتلاميذك وأبناء قبيلتك وأصدقائك وزملائك وكل من عرفك، سائلا الله أن يهبك سعادة في الدنيا والآخرة، شاكرا لصديق الشعراء وإعلامي قبيلتنا الذي نفخر به أخي وصديقي الغالي سعد زهير، دعوته التي شرفني بها للكتابة عن محمد، وعلى الوفاء والمحبة نلتقي.




بدع

الفهد قال عشنا ماندور لشرٍ ونتقام

ون ماهي عوايدنا ندور لشرٍ ونتقامي

والرقم واحدٍ حبر المراسم ترقم دايمه

شعبنا شعبنا عنده بحور الكرم ومناهله

والبلاد السعوديه لجيرانها ظلت مناهل

والله ايسامحك يلي تقل في المناهل ليت به

والكريم الكريم ايزود في الموجبات وقدر ضيف

جاره الله ماقصر في الموجبات وقدر ضيفه

كل ماجاه يلقى واجبه والثنا والمقدره

واللي زعلان قلنا له ايلا ما استوى الموقف رضيت

كيف لا والذي مثله متى ما استوى الموقف رضله

وانشرح خاطره والمحفل ايشوقه والمعرضي

أبوسامي.. المعلم.. الإنسان.. القدوة

عبدالرحمن الشمراني

مدير تحرير صحيفة عكاظ

حينما اتحدث عن (محمد ظافر ابو سامي) فإنني أتحدث أولاً عن قريب في الصلة وفي المودة، وثانياً عن شاعر تربت ذائقتي الشعرية على قصائده الفاتنة، وثالثاً عن معلم وموجه درست على يديه في المرحلة الثانوية جماليات اللغة العربية وآدابها، ورابعاً وليس آخراً عن إنسان عاش حياة اليتم بفقده والده يرحمه الله، فتحمل مسئولية الأسرة مبكراً.

لقد عرفت ابا سامي منذ طفولتي بحكم صلة القرابة التي تجمع بيننا، ثم بعد ذلك عرفته شاعراً وأنا في مرحلة الدراسة الابتدائية، وكنت أفاخر بين زملائي الطلاب بابن عمتي الذي بدأ نجمه في الصعود في ميدان العرضة الجنوبية وهو في ذلك الوقت لا يتجاوز عمره الرابعة عشر عاماً، يقارع كبار الشعراء في منطقتي عسير والباحة، لكنه حينها كان كبيراً في عقله وبدعه ورده وإنشاده، وفي ذلك الزمن الجميل كان اسم (بن ظافر) على كل لسان، حيث قل ان تقام العرضة الجنوبية من دون وجوده فيها، فكان مطلوباً في معظم حفلات الزوجات والمناسبات المختلفة في تهامة والسراة، لدرجة اصبح فيها مشغولاً عن اسرته وعمله، واتذكر هنا ان مدير مدرستنا في المرحلة الثانوية الأستاذ القدير حسين الانصاري، كان يعاني من كثرة ارتباطات ابي سامي وسفره للمشاركة في تلك المناسبات، رغم تفهمه هذا الأمر، ونحن طلابه كنا نتأخر بعض الشيء في انهاء المقرر الدراسي في موعده، نظراً لذلك الغياب، لكنه كان يفرض احترامه على مدير المدرسة وجميع المعلمين والطلاب، فكان الجميع يسانده في دوره الإبداعي.

محمد ظافر ابو سامي عرفته كذلك معلماً متمكنا من تخصصه، فبعد تخرجه من فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في ابها تخصص لغة عربية في عام ١٤٠٥هـ بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، رفض أن يكون معيداً بالجامعة لرغبته في ان يكون قريباً من اسرته، ومع مطلع عام ١٤٠٦هـ بدأ مهمته في حقل التربية والتعليم، ودرست على يديه في الصف الثاني الثانوي والثالث الثانوي، وقد كان بارعاً في تدريسه لمواد اللغة العربية، وخرج عن نمطية تدريس مواد اللغة العربية ليقدمها بأسلوب جديد لاسيما مادة التعبير التي كانت مهملة ولازالت رغم اهميتها، حيث عمد على تعويد الطلاب على الكتابة بأسلوب أدبي جيد اضافة الى ارتجالهم الخطابة أمام الطلاب داخل الفصل الدراسي، وبعد ذلك في المناسبات،

ورغم صلة القرابة التي تربطني به إلا أنه لم يفضلني في يوم من الأيام على أي طالب في الفصل أو المدرسة، بل كنت أشعر احياناً أنه يقسو علي بعض الشيء اكثر من زملائي، لكنه كان في نفس الوقت لا يخفي اعجابه بتميزي على زملائي في مواد اللغة العربية.

كان محمد ظافر بالنسبة لي الشاعر القدوة الذي تشبع قصائده نهمي، فتربت ذائقتي الشعرية على عزف قصائده التي شغلت جل وقتي، وحينما كتبت أول قصيدة عامية عرضتها في البداية على الشاعر مسفر علي لمعرفة رأيه فيها، فاستحسنها، وكنت اثق في رأيه كونه سبقني في الكتابة والنشر، وهذا شجعني بعد ذلك على عرض القصيدة على ابي سامي الذي قرأها قراءة متأنية، وأبدى لي بعض الملاحظات والتوجيهات، واعتبرها بداية جيدة، وكانت تلك القصيدة الأولى التي أنشرها في الصحف، ونشرت عام ١٤٠٨هـ في صفحة الديوانية التي كان يشرف عليها الزميل سعد زهير في جريدة الرياضية، وبعد ذلك كنت أتلقى توجيهاته واستمتع بها لتطوير قصيدتي ونقلها من التقليدية الى الشكل الحديث للقصيدة العامية، وفي عام ١٤١٢هـ رد على إحدى قصائدي التي نشرت في صفحة الديوانية، وكم كانت سعادتي بأن شاعرا كبيرا بمكانته يرد على قصيدتي.

عرفت محمد ظافر ابو سامي انساناً عاش حياة اليتم وتحمل مسئولية الأسرة في سن مبكرة، وكابد مصاعب جمة وتغلب عليها، حيث كان في خضم تلك الحياة القاسية والمسئولية يعمل ويواصل دراسته حتى حصل على الشهادة الجامعية، ثم واصل عمله وناضل كثيراً ومازال يناضل، ورغم تلك الصدمات والمطبات التي مر بها ظل قلبه مشرعاً للحب والتسامح والأمل والسمو فوق الخلافات، وهكذا عرفته.



خطوة الساري
محمد بن ظافر



الخطايا

الخطايا كثيره .. والله الغافر
ماغيره يغفر الأخطا والإثامي
وان كان الذنب ولاّ حظي العاثر
ولاّ صابت هدفها رمية الرامي
المثل قال مايوقع سوى الشاطر
والصواعق ماتخطي النايف الزامي
ومايصيبك سوى ما قدر القادر
والقدر ما يردّه درع وحسامي
وأشدّ الحزن يتمّ يكسّر الخاطر
وأحر الدمع دمع عيون الأيتامي
وانا رغم المصايب ياعلي صابر
حتى لو عسكرت خلفي وقدامي



يجرحني صاحبي وعيوني تناظر
واتعامى واظمد جرحي الدامي
واتباهى بذكر طيب عاطر
وافخر إني عزيز النفس وعصامي
وإن يقولون ولىّ عهدك الزاهر
قلت يكفيني الزاهر من اعوامي
يوم غيري بلا ماضي ولا حاظر
ومن غروره يطاول روس الأهرامي
كنت بن ظافر ولا زلت بن ظافر
اسمي ما يمحى لو تمحى الاسامي

قالوا عنه أيضا...

محمد ظافر .. الهدوء.. الصدق.. الوضوح

استطيع ان اقول عن بن ظافر شخصيا، انه اعتمد على نفسه حتى وصل الى ما وصل اليه، ومن الصعب ان تجتمع في الانسان جميع الصفات الجميلة، ولكن هذا الشاعر العملاق اجتمعت فيه جميع الصفات الطيبة. يتمتع بخلق فاضل، لا يبحث عن الاضواء، فهو واثق من كل خطوة يمشيها، استحق النجاح بكل جدارة. تكريم بن ظافر خطوة جيدة، وقد سعدت كثيرا عندما قرأت وسمعت عن ذلك، وهذا اقل شيء يقدم له. شكري وتقديري لكل من سيساهم في تكريم هذا الشاعر، فأنتم اهل الوفاء، وهذه سجيتكم وطبعكم، وليس بمستغرب عليكم. كما اوجه لابن ظافر شكري وتقديري لشخصه الكريم، فهو بصراحة ذو حياة مكشوفة، واعتبره كتابا مفتوحا وليس عنده غموض، وفوق هذا انسان هادئ جدا استحق التميز. اتمنى من الله العلي القدير له وافر الصحة والهناء.

عون الباهوت الغامدي

من شبكة شمران

موهبة بن ظافر تنتشل العرضة إلى سماء الإبداع

عرفته منذ عام ١٤٠١هـ بالتحديد لفت نظري أنظار الاخرين بموهبته الفذة والنادرة، وشخصيته الجذابة وحضوره القوي.

أحدث ثورة في مجال شعر العرضة الجنوبية في زمنه، وعزز شهرته، مما احدث نقله نوعية في مفردات ذلك الفن الاصيل.

انه الاستاذ الشاعر محمد بن ظافر الشمراني، الذي جمع بين الثقافة ودماثة الاخلاق والشهامة من جهة، وبين الاصالة ورهافة الحس الشعري النابض والمتدفق من روح شفافة وسامية بمفردات شعر العرضة الجنوبية من جهة اخرى.

لقد عرفته انسانا عطوفا وصديقا وفيا وشاعرا فذا، استطاع من خلال موهبته الشعرية ان يترفع بمفردة الشعر الشعبي الجنوبي من الاسفاف والعنصرية القبلية المقيتة الى التحليق بها في سماء الابداع والفن الاصيل.

عرفت الاستاذ التربوي محمد بن ظافر الشمراني من خلال دراسته بجامعة الامام محمد بن سعود قسم اللغة العربية في ابها، وارتباطي بصداقة اخوية معه ستظل نبراسا بحياتي، نظرا لما يتمتع به هذا

الشاعر التربوي من كاريزما خاصة صنعته شخصية جذابة تفرض احترامها على الاخرين .

لقد اجاد في شعره وابدع في كل قصائده، مما جعله الشاعر المطلوب لدى كل القبائل بكل فئاتهم من كبار السن الذين يدركون معاني ومقاصد وقوة سبك قصائد بن ظافر، وجيل الشباب المتقد والمتحمس للاصالة وماضي الاباء والاجداد، الذي يمثل الامتداد لجيلنا الحالي.

ان ابتعاد محمد بن ظافر عن ساحة الشعر تعد خسارة لا تعوض، وهذا ليس رأيي الشخصي وانما رأي كل منصف ومتذوق لشعر العرضة الجنوبية .

تمنياتي لشاعرنا الفذ التوفيق والسداد في حياته وحفظه الله من كل مكروه.

خلف بن علي الشمراني

سبت شمران. تهامة

الثقافة .. الإبداع .. الأدب

الشاعر محمد بن ظافر من شعراء العرضة الذين لن يتكرروا في مجال شعر العرضة، وانا اعتبره افضل شاعر في مجال البدع خاصة وهو افضل شاعر الى الان، ولم يصل الى مستواه الشعري احد. زاملته كثيرا وأحيينا حفلات من ١٤٠٢ الى ١٤٠٦ وهو شاعر مبدع ومثقف وبعيد كل البعد عن الهبوط بالكلام، ورجل مؤدب. اتمنى ان يكون له تواجد ولو خفيف في الساحة. انا اقول له ياأبا سامي مكانك ما زال شاغرا ما احد جلسه.

الشاعر صالح بن عزيز

من شبكة شمران

أحد لبنات الشعر والشقر

لم يسعفني الحظ بلقاء الشاعر محمد بن ظافر، ولم تشأ الظروف الالتقاء به أو التواجد معه في الحفلات، وقد اعتدت على سماع ورؤية ابداعاته من خلال الاشرطة والمجالس الادبية التي لا يكاد يخلو مجلس منها من ذكر اسمه وشعره. من هنا امتدت جسور التواصل بيني وبين محمد بن ظافر.

هذا الشاعر كان احد اللبنات التي قام عليها شعر العرضة، وأحد الاسس التي ارست دعائم الابداع في فن الشقر العريق.

لطالما تمنيت أن يجود الجنوب بشاعر مثله أو يسمح الزمان بعودته.

الشاعر إبراهيم الشيخي



قالت.....

قالت.. وش اللي غيرك قلت.. الأيام
اللي إجعلتني فوق الألسن حكايه
وقصة ندم تولد على شفاه الأقلام
وتكبر على احروف الخبر والدعايه
قالت.. ماحسب البعد يغتال الأحلام
ولا يوقف الساعي لتحقيق غايه
أنا أحسبه يزرع تباريح وهيام
ويزهر فرح ساعة لقاك ولقايه
قلت .. الصحيح أحلامنا كانت أوهام
وكانت بدايتها على أيدك نهايه
وأنتي دريتي ليه الأخلاص ما دام
لكن تبين الشك يبحث خفايه
وشيٍ دفن لا تبعثينه للاعدام
كفّي وما خذتيه مني كفايه



خذتي هناي وصبري إثنا عشر عام

وبعتي هواي ولا سمعتي رجايه

ويوم إن صحي قلبك وقلبي الشقي نام

جيتي تقولين أنت لذّة صبايه

وأنت لغناي أشعار ولعزي في أنغام

ولغربتي ذكرى تجدد وفايه

جيتي تبين أحيي من الماضي آلام

جيتي تبين اللي بقا من هنايه

أظما وترويني تعاليل وأسقام

وأشقى وترقص فرحتك في شقايه

جيتي لاكن هيهات نكّست الاعلام

وطيّحت نجمك وأختفى من سمايه

والشام إذا يصبح يمن واليمن شام

يمكن أحبك .. لكن من البدايه!!

خطوة الساري
محمد بن ظافر

صور















خطوة الساري
محمد بن ظافر

صور









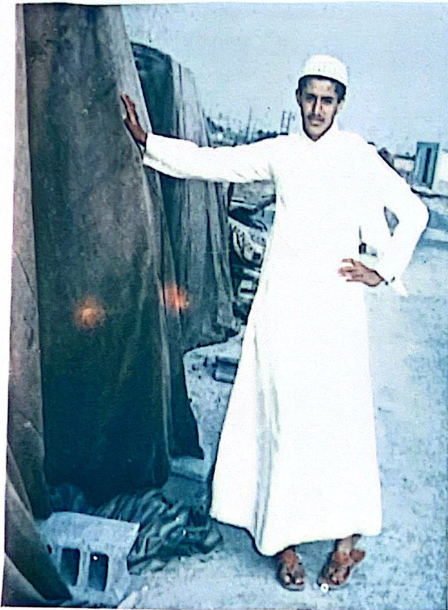

وقال عليه السلام: من جهز غازيا فقد غزا
لجنة التبرعات



صور

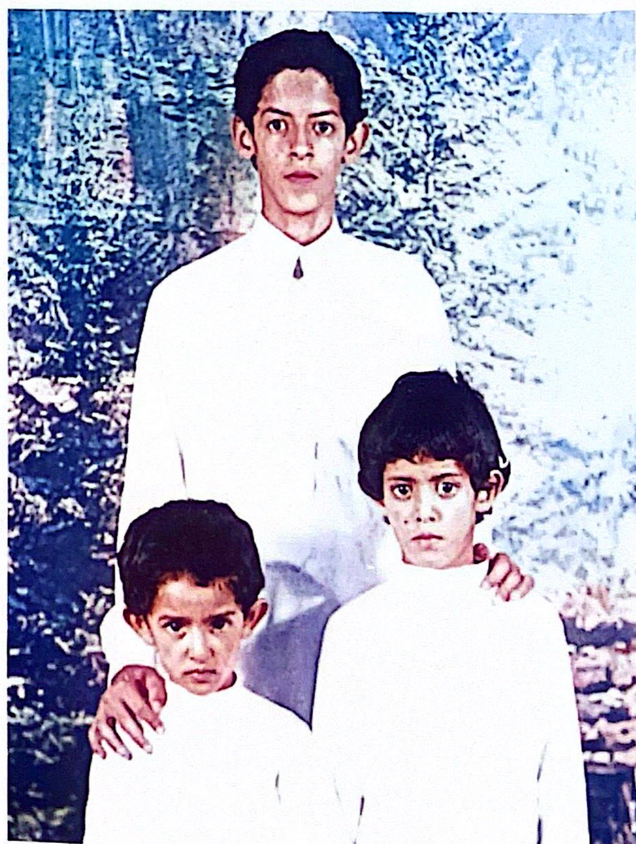












صور







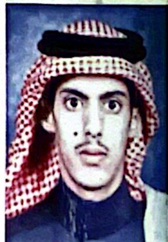




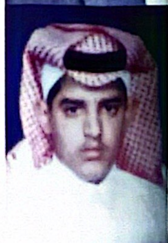
ظافر



سامي



عبدالله



مهند



قالوا عن محمد ظافر في الصحافة

- محمد بن ظافر أمير الشعر بلا منازع « شعراء العرضة الجنوبية كثر» لكن من يستحق إمارة الشعر يجب أن يكون على قدر كبير من الوعي والثقافة، ولا أخال ذلك بكثير على الزميل محمد بن ظافر الشمراني، فهو بحق شاعر بمعنى الكلمة. إنه الشاعر المثقف الذي يجمع بين أنواع الشعر بكل جدارة .. وأقترح على المهتمين بالشعر إقامة مهرجان للشعر وسوف تتضح الرؤية بعد ذلك.

الشاعر مفلح بن مشاعي المعاوي - عكاظ

- في قبائل شمران وخثعم وعليان بصفة عامة، عرفت شاعراً له حق التقدير وهو الشاعر محمد بن ظافر الشمراني.

الشاعر سعد بن عزيز القرني - عكاظ

- هناك شاعر تأثرت به وكنت من اشد المعجبين بقصائده، وكنت أتمنى أن أصل في يوم من الأيام إلى مستواه، نظراً لما تتمتع به قصائده من فنية عالية لا يرقى إليها كثير من الشعراء المتواجدين حالياً وهو الشاعر محمد بن ظافر. وهذا ليس كلامي فحسب بل معظم الشعراء المنصفين يعترفون له بفضل تعليمهم أصول الشعر، وخاصة ما يسمى لدينا بـ (الشقر) فهو المعلم الاول في هذا اللون، وقليلون من الشعراء الذين يصلون إلى مستواه.

الشاعر صالح بن عزيز - الرياضية

- محمد بن ظافر شاعر وأستاذ، وذو عقل فطين منذ نشأته، وابتعاده عن شعر العرضة يعتبر خسارة فادحة، فهو شاعر متمكن وشاعر أديب، واعتقد أن سر ابتعاده هو السر الذي عندي.

الشاعر محمد بن شافي الاكلبي - المدينة

-محمد بن ظافر ومسفر مريط، كانا سبباً في رفع مستوى شعر العرضة وخاصة في بيشة، وهما من أوائل الشعراء الذين احدثوا شعر (الشقر) ويؤسفني اعتزال محمد بن ظافر، وأسال الله أن يزيدني صبراً حتى لا ألجأ ملجأه لأن العقوبة أشد من القتل، ووراء كل سبب مسبب، وهو وضع الشخص بين قوم لا يعرفون قدره.

الشاعر محمد بن ثابت الشهراني - عكاظ

- بصراحة مجردة أرى بأن ابتعاد (بن ظافر) عن الساحة يعد خسارة فادحة للشعر وجمهور الشعر، فهو شاعر مجدد لو استمر لأضاف لشعر العرضة اشياء كثيرة.

الشاعر عبد الله البيضاني - عكاظ

- محمد بن ظافر لو عاد للشعر فسوف تعود هيبة شعر العرضة.. خسارة فادحة أن يعتزل.

الشاعر سعد بن عزيز - تضاريس المدينة

- محمد بن ظافر ترك الساحة وهو في القمة، ولا يزال مكانه شاغراً، وأتمنى أن يعود في أسرع وقت.

محمد علي القرني - المدينة

- محمد بن ظافر شاعر البدع الأول.

الشاعر صالح بن خويتم - عكاظ

- إذا حضر محمد ظافر فالقمة لا تتسع لأكثر من شخص، وحينما يغيب فربما تتسع لأكثر من عشرة شعراء.

أحمد الشمراني - إعلامي رياضي - عكاظ

- لكل شـاعر اسـلوبه الذي ارتضاه لنفسـه وشعره، إلا أنني أرى أن الشـاعر محمد بن ظافر أحق من غيره بهذه الزعامة.

الشاعر مسفر بن هيف الأكلبي - من حوار لصحيفة عكاظ

- لا اعتقد أنه يوجد شاعر غير محمد بن ظافر يتمنى كل شعراء العرضة مزاملته.

الشاعر سفر بن حميران - من حوار لعكاظ الشعبي

- أبو سامي منزلته الشعرية عند الثريا، فهو الشاعر الذي يستحق كل ما يدور حوله من هالة، ومن وجهة نظري ان ابتعاده عن الساحة يعود للإحباط، فهو شاعر لم يجد من يقدر ويثمن موهبته الشعرية ففضل الابتعاد.

الشاعر محمد بن ثابت - من حوار لعكاظ الشعبي - ١٤١٨/٥/١٨هـ

صحافة

مناسبات

الشمراني سعيد بلقاء الامير خالد الفيصل



■ الامير خالد الفيصل والى جواره د. الرشيد والشاعر الشمراني اثناء العرضة

عبدالله ال قمشة (بيشة)

□ عبر الشاعر الكبير محمد بن ظافر الشمراني «ابوسامي» صاحب كلمات الملحمة الشعرية «وثبة المجد» عن سعادته الغامرة لتشريف صاحب السمو الملكي الامير خالد الفيصل أمير منطقة عسير ورعايته المهرجان السنوي والملحمة الشعرية لطلاب مدارس بيشة مؤخرا.

وقال ان تشريف سموه لهذا المهرجان وسام فخر واعتزاز للجميع وقد اسعدني حضور سموه شخصيا باعتباري من منسوبي التعليم.

يشار الى ان الشاعر محمد ظافر الشمراني هو صاحب كلمات خمسة اوبريتات وملاحم شعرية نظمها تعليم بيشة خلال الاعوام الماضية وشرفها عدد من ولاة الامر يتقدمهم سمو ولي العهد الامين وسمو النائب الثاني وسمو الامير خالد الفيصل.

قريباً في الديوانية

محمد ظافر شاعر لم يخدم نفسه !

صحافة (العواطف) أسقطته من المقدمة

جماهيره في شعر (العرضة) لا تقبله في غيرها

عرف ضريبة الشهرة في العرضة فتجنبها في النبطي .

واشياء كثيرة غاية في الاهمية تناولها عدد من الشعراء في تحليلهم لتكوينة محمد ظافر من حيث الشعر !!



● محمد ظافر ابو سامي

صمت الأرياف



الصمت مركب حزن والبوح مجداف
والذكريات اسياط والليل جلاد !
والفجر بوابه على جسر الاطياف
تستعدى الفرحه على موت ميعاد
مابين كوخ الفقر وجيوب الاسراف
دمعة طفل تعشق زغاريد واعياد
وجروح تحضنها الجوارح والاشغاف
في نزفها يمتد موت وميلاد
واحلام مجبوله على صمت الارياف
تستمطر الرحمه على ترب الاجداد
أنا وهي غلطه توارثها الاعراف
نعطش غرام ونحتسي دمع وسهاد
وأنا وهي حسره تجاذبها الاطراف
سؤال للحيره تقاذفه الابعاد ..
وجهين مرسومين باحداق سياف
يغتالها سيفه على روس الاشهاد
واسمين فوق ارمال الاوهام تصطاف
ماسرع مايصبح عرسها حزن وحداد
والزايل القادم غدا شط الاصداف
استعبد آمالي وطوقني أسعاد
واشتاقني باكر ومن شوقه أخاف ..
اخاف باكر صورة لامس تنعاد

محمد ظافر أبوسامي

ابن ظافر يرفض هذا المبدأ

«أنا.. ومن بعدى طوفان الشعر»



ابن ظافر

احمد الشمراني - جدة:

اعلن الشاعر الجنوبي الشهير / محمد بن ظافر الشمراني اعتزاله شعر العرضه الجنوبية نهائيا والتفرغ لاعداد ديوان من الشعر النبطي سيرمي به للاسواق قريبا وعزا ابن ظافر هذا الاعتزال لظروف الساحة حاليا حيث قال بانها لم تعد تشجع او تغري على تعاطي شعر العرضة كموروث جميل بل اضحت مرتعا لمنازلات هابطة تدخل فيها قبيلة بل واسر وجماعة باكبلها.. واشار ابن ظافر الى ان ابتعاده لا يمكن ان يترك فراغا كما يقول البعض بل ربما يساعده على تقديم نتاج ادبي تكون فائدته اعم وافضل وفي ذات السياق قال ابن ظافر الى انه ابتعد عن الساحة منذ عامين ولم يشعر بندم بقدر ما يشعر بسعادة غامرة.

ورأى ان يواصل الغياب ليظل كما يقول مرتاح البال ولم ينس ابوسامي وهو يوضح «للذاكرة» سر الاعتزال ان يشيد بالذاكرة كصفحة جاءت لتنير الطريق امام شعر العرضة ولتضع لمسة اخيرة على درب العلم والمعرفة في هذا المضمار حيث وصف هذه الصفحة على انها جانب معرفي سيكون له مردود ايجابي على الساحة و املها شريطة ان يكون هناك تقنين في العاطفة مع هذا الشاعر اوذاك. كما طالب ابن ظافر من رواد هذا اللون ضرورة الإرتقاء بالساحة الشعبية بالجنوب والاخذ بايدي الناشئة بعيدا عن مقولة «انا ومن بعدي الطوفان» وفي الختام وجه ابن ظافر شكره لكل من امتدحه في هذه الصفحة واحترامه لكل من اساء اليه وتقديره لكل من تجاهله..



خطوة الساري
محمد بن ظافر

صحافة

الثلاثاء ٢٢ ذى الحجة ١٤٠٩هـ ـ ٢٥ يوليو ١٩٨٩م

غفوة الحلم القديم .. وأبو سامى المبدع

إن الشعر يخاطب العواطف مباشرة ، وذلك لما عند الشاعر من قوة الهام لا تكتسب بتعلم ، وللشاعر نوع غامض من لطف النظر .
او الالهام او اللقانة ، او ما شئت فسمه .
ولعل هذا هو الذى جعل الشعراء العرب يعتقدون ان لكل شاعر شيطانا ينفث فيه الشعر ويقول احدهم : «شيطانه انثى وشيطاني ذكر» .
وللشاعر نظر باطن للحياة ولهذا قال «ورد سورث» عن الشعر : إنه روح المعرفة وحياتها ونقد الحياة .
والحق اننا نقرا في الشعر معنى الحياة وشرحها ، ذلك لان الحياة محكومة بالمشاعر والبواعث .
وليست تخضع للمنطق وحده كذلك للعواطف ، والشعر هو الذى يعبر عن هذه العواطف «او العواطف ممزوجة بالعقل»

○ العرضه .. فن يعتمد على الايقاع والصوت والحركة

○ الأمير سعود بن بندر يعد رائدا من رواد الشعر الشعبى

بعد ان هدأت الترشيحات سفر علي يقول : بشهادة الجميع

الشاعر / محمد بن ظافر ابو سامي الاول فى المنطقة الجنوبية

اصحاب ذلك النوع من الشعر الهابط
ـ سادسا / من اكبر مميزاته ايضا

منذ اشهر وانا اتابع كل ما يدور بين القراء وبعض الكتاب من اختلاف في وجهات النظر ادى الى مهاترات لا طائل منها بشأن شعراء العرضه في المنطقة الجنوبية حيث اثار ذلك الموضوع الدويحي الذي قام بترشيح الشاعر / محمد بن ثايب الشهراني بانه شاعر العرضه الاول في المنطقة الجنوبية دون مقدمات لذلك وقد يكون الشاعر محمد بن ثايب في غنى عن ترشيح المذكور لانه واحد من الشعراء

● محمد ظافر

مختصراً منها بعد طرح اسمه .

● سفر علي

بعد عشرين عاما في ساحاتها

الشمراني يهجر العرضة لأكثر من سبب

عبدالله آل قمشة (بيشة)

□ بين الشاعر الكبير محمد بن ظافر الشمراني (ابو سامي) لذاكرة عكاظ الشعبية ان ابتعاده عن ساحة شعر العرضة يعود لعدة اسباب وان عشرين عاما مضت قضاها في هذا المجال كافية. وقال الشمراني ان الفترة التي قضاها في اداء شعر العرضة كانت في زمن لم يكن فيه الاعلام مهتما بهذا الجانب ولا انصاف للشاعر والجهد الذي يبذله للمشاركة في مناطق متباعدة يتنقل من مكان لمكان اخر بعيد مرورا بطرق وعرة. اما الاسباب التي جعلته يهجر شعر العرضة فيقول (ابو سامي)

خلال الايام العادية من الاسبوع والحفلات تأخذني يومي الخميس والجمعة فلا اتمكن من الوفاء بالتزاماتي تجاه الاسرة.

○ رايت ان الاتجاه للشعر الشعبي وخاصة شعر (العرضة) مصير اكثره الضياع وقد حاولت ان اوثق بعض الاعمال السابقة فلم اجد شيئا لانه كان مرتجلا وقد ساهم عدم توفر الوسائل التقنية في الوقت الماضي في عدم حفظ ما يقال من الشعر وخرجت من هذا المجال دون رصيد موثق اللهم الا ما يحفظه بعض المتابعين.

○ رايت ان الوقت القصير الذي قد يتوفر لدي في الوقت الحاضر يمكن استغلاله في الشعر الفصيح

■ الشمراني

مبدعون فى الظل الشعراء والمتابعون فى أمسية مشتعلة

محمد ظافر حالة إبداعية نادرة تعيش فى الظلام



عواض ومحمد ظافر والتشابه

على مدى اكثر من اثنتي عشرة سنة عمر هذه الصفحة ورد الينا الاف الرسائل التى عليها بنيت الصفحة وشبت وترعرعت وكنت ولازلت حينما يضيق المكان المحدد لها لا اجد بدا من جمعها اى الرسائل التى لا علاقة لها بالنشر والمشاركات التى تم الاعتذار لاصحابها لا اجد بدا من جمعها والخروج بها الى مكان قريب فاحرقها لتبقى مشاعر المشاركين بهذه الصفحة مصونة بعدم اطلاع الغير عليها . لكن ثمة رسائل لا تتجاوز عدد اصابع اليد اى بما يعادل جزءا من رسالة فى السنة لازلت محتفظا بها بين اوراقى الخاصة من هذه الرسائل رسالة لعواض العصيمى الذى كانت له زاوية ثابتة هنا بعنوان « غناء يستنبت الفجر » . كانت الرسالة تمثل احتجاجا صارخا على موضوعات تم نشرها هنا لا تتوافق مع ذوق كذوق عواض حيث نشرت باللهجة العامية ومن خلال احتجاجه ادركنا حجم خطئنا وتم تلافيه حيث كان نص الرسالة ما يلى

« بالبريد الممتاز »

الاخ عبدالله الشمرانى

يأتيكم مع طى هذه الرسالة نماذج مما يمارس على صفحتى البلاد النبطية .. وبصفتى احد القراء الذين يهمهم جدا امر البلاد النبطية لانها تؤدى دورها المعروف فى خدمة الاعتراض على تلك الممارسات الحمقاء .. المجدبة .. العقيمة .. التى يتبجح بها البعض . نحن نحب البلاد النبطية ونعشقها . لذلك فمن حقنا كما تعلم ان نقول « لا » عندما نرى اية ممارسة خاطئة من شأنها ان تطيح بالبلاد النبطية الى الاسفل ..

حرصنا .. وحرصنا فقط على مستوى هاتين الصفحتين هو الذى اجبرنا على هذه المصارحة الحادة .. فما جدوى كتابة اللهجة ونشرها بطريقة فجة ؟ وما جدوى ثرثرة البندول المهترىء فى بطن الصندوق الخشبى العتيق ؟ لك ولكل قارىء يحب البلاد النبطية اجمل التحيات

المرسل

عواض شاهر العصيمى

كان هذا هو نص رسالة عواض التى لم اجد تفسيرا لها انذاك الا تفسيرا واحدا فقط هو الغيرة على مستوى البلاد النبطية انذاك .. « شطان » حاليا ورغم قسوتها كما لاحظتم فقد اثرت الاحتفاظ بها كما ذكرت بين اوراقى الخاصة لاعود اليها كلما حانت الفرصة المناسبة . وحينما اعود الى هذه الرسالة فاننى اذكر عواض الذى ابتهجت به من اول رسالة وصلت الينا منه لازلت اذكرها حيث كانت تحمل اسلوبا اشبه ما يكون باسلوب الشاعر « محمد ظافر » ابو سامى وقصيدة تشبه قصائده والفرق بينهما ان محمد ظافر كما اجمع المتابعون انه لم يخدم نفسه ولم يتصل يوما « ما » بمحرر لينشر له قصيدة او يجرى معه حوارا او يكتب عنه خبرا .. تلك رغم انها فى ظاهرها نقطة ايجابية الا انها احدى السلبيات التى تحمل المبدع فى منأى

○ أملى فى محررى الصفحات الشعبية أن ينزلوا من بروجهم العاجية ليبحثوا عن هذا التراث فى كل جزء من مملكتنا الحبيبة

اما بالنسبة للشاعرات فليست لدى خلفية كافية عن شعرهن ولكنى قرات منذ فترة شعرا جيدا اعجبنى أى اعجاب للشاعرة عمال جده لكنها اختفت فجاة ولم اعد ارى لها شيئا ولا ادرى سببا لذلك

بالاضافة الى الشاعرة « صابرين » وان كنت اعتب عليها فى بعض قصائدها التى نشرت أخيرا .

□ هل فكرت فى اصدار ديوان يضم اشعارك ؟

■■ هذه الفكرة تراودنى منذ فترة ولدى ديوانان مكتوبان بخط يدى يضمان قصائد مختلفة أنوى طبعهما ان شاء الله ولكنى انتظر الفروغ من الدراسة اذ لاوقت عندى الآن لمتابعة الطبع واتعابه .

□ ماهى القصيدة التى تود اهداءها الى القراء عبر هذا اللقاء ؟

■■ أود أن اهديهم هدية أغلى مما املكه ولكن .. « الجود من الموجود » فلهم أهدى هذه المقطوعة ..

يامن رسمت الحزن فى لوحة اعيانى
ولونته من الشموع الوان براقة
وزرعت زرع الشجن فى دوحة احزانى
واسقيته من الدموع وتاهت اوراقه
وغطت مساحات احاسيسى وجدانى
واستنفذت كل ماعندى من الطاقة
الى متى والثقة منك . تعدانى
والى متى خطوتك للشك سباقة
الى متى فى ظلام الياس تلقانى
وتخاف نور الأمل بعيون مشتاقة
الى متى وانت تدنى نار حرمانى
وتقطع على كل خفقة حب خفاقة
وتذبح مشاعر فؤادى واتحدانى
وعلى جدار الزمان تحطم اشواقه
الى متى وانت تخفى اسمى وعنوانى
والى متى وانت تسمع قاطع الساقة
اللى اينتبع كلام فلان وفلان
ويبذر بذور الفتن بقلوب صداقة
حسود والحسد فيه اشكال والوانى
ونار الحسد فى خفا خافية حراقة
واكثر ماخافه ببحر الصبر تنسانى
ارفع شراع الرجا لأيام سراقة
وتنكر لى الريح والامواج تشعانى
واذوب من شاطئه حتى اعمق اعماقة

صحافة

مبدعون في الظل — انصفه الرّواد والمثقفون يطالبونه بالتوقف حالا

ماذا يريدون من محمد ظافر ؟!


● د. سعيد عطية ابو عالي


● محمد ظافر

سعد زهير / جدة

القرني يرضي الجميع

● اما الصديق محمد عائض القرني من سبت العلاية فيرى ان غالبية من استضفناهم في حواراتنا كانوا مجاملين في اجاباتهم على سؤالنا حول شاعر المنطقة الاولى.. والبعض الآخر يحكي بما لايعرف لعدم المامه الكافي بالشعر وشعرائه..

ليورد جدولا موضحا فيه شاعر كل منطقة حيث يرى انه من المناسب توزيع الشعراء على هذا الأساس ارضاء للجميع..

وقد جاء في جدوله البياني هذا التوزيع:

القبيلة	الاسم المرشح
بالقرن	عائض خفير القرني
زهران	عبدالله البيضاني
شهران	محمد بن ثايب الشهراني
بالحارث	سعيد هضبان الحارثي
غامد	محمد الغويد الغامدي
بني عمرو	ضيف الله العمري
بني مالك	عيضة بن طوير المالكي
بني المنتشر	رمضان المنتشري
شمران	محمد بن ظافر الشمراني

غفوة الحلم القديم .. وأبو سامي المبدع

إن الشعر يخاطب العواطف مباشرة ، وذلك لما عند الشاعر من قوة الهام لا تكتسب بتعلم ، والشاعر نوع خاص من نطف المطر
او الإلهام او الثقافة ، او ما شئت فسمه
ولعل هذا هو الذي جعل الشعراء العرب يعتقدون ان لكل شاعر شيطانا ينفث فيه الشعر ويقول احدهم «شيطانه انثى وشيطاني ذكر».

والشاعر ناظر باطن للحياة ولهذا قال «ورد سورث» عن الشعر «إنه روح المعرفة وحياتها ونفاذ الحياة والحق اننا نقرأ في الشعر معنى الحياة وشرحها» ذلك لأن الحياة محكومة بالمشاعر والبواعث وليست تخضع للمنطق وحده كذلك للعواطف . والشعر هو الذي يعبر عن هذه العواطف ،او العواطف ممزوجة بالعقل.

وعندما نقرا رائعة ابي سامي «غفوة الحلم القديم»

البارحة قابلتها في غفوة الحلم القديم
واستوقفتني ساعة بالبتها كانت دهر

البارحة .. كلمة تدل على فترة النوم ، غفوة الحلم .. بين النوم واليقظة

بداية هذا البيت تدل على ان الشاعر لم ير محبوبته لاستحالة ذلك إلا في الحلم .. لقد قطعت عليه نومه .. لمدة ساعة .. ولا نعني الساعة التي يتعامل بها عامة الناس ، ولكنها ساعة الشاعر ، ومع ادراك الشاعر ان التمني لا جدوى منه إلا انه لا يجد منه مفرا .

ســبت فيها دمعتي .. وأمسيت للضحكة نديم
وأخذت منها فرحتي وأعطيتها حزني مهر

في تلك الساعة المشرقة لقيت فكرة دموع اللقاء ، لانني لم اكن املك الوقت لأعبر عما في نفسي ، فقد لازمني الضحك ،الابتسامة، طوال فترة اللقاء ، وقد اخذت منها الفرحة واعطيتها بالمقابل حزني ثمن ذلك اللقاء

قابلتها وأخذت أطالعها مثل طفل يتيم
أمه توفيت والتقى انسانة شبهها فانبهر

عند قراءة هذا البيت لاول وهلة يخيل إلى القارىء ان هناك اختلالا في أسلوب الشاعر فقد عهدناه يتحدث عن لقاء مشحون بالفرحة ووجدناه يحملنا إلى جو اليتم ، وكما هو معروف أن الطفل اليتيم عندما يرى شبيهة أمه لا يأخذه الضحك ولا يبتسم لانه يعرف أن أمه توفيت ، وبذلك فقد يذهل وقد يبكي واحتمال اقل أن يرتمي في حضنها أو يتأملها إذا كان هناك علة ، وهي كونه لا يعرف انها غادرت محيط الحياة إلى دنيا اخرى لا يمكن لها العودة ، ولكن لكونه يتكلم عن اللاموجود عن شيء حلم لم يكن حقيقة فقد نبيحه العذر

باقي مثل ما هي   يداعب همسها همس النسيم
باقي مثل ما هي   يغازل نشرها نشر الزهر

قمة الابداع .. ولنرى اختياره لهاتين الكلمتين «يداعب ، يغازل» والنشر .. الرائحة العطرة ، والهمس الصوت الخفي الذي يداعب الجفون ويوقظ الشاعر باقي مثل ما هي على عهد الحقيقة

أنحدها الورد الحمر ونثرها الدر النظيم

ويشعرها ليل الشتا العاتي على نصف الشهر

وصف في قمة الاتقان والابداع ، وقد يتخيلها القارىء ،وهذا من براعة الشاعر في الوصف فقد وصفا متكاملا ، نصف الشهر شبه جملة ،لو لم تكن في هذا البيت لكان بلا معنى والسبب .. ان الشاعر قال عن محبوبته الخيالية .. ذات خدود حمراء واسنان كالدر المنظوم وشعرا كالليل ، فلو كان الأمر حتى هنا ،لبقى هناك شك ، ما مدى جمال هذه الموصوفة ؟

فيجيب الشاعر «العاتي على نصف الشهر» ، والشهر تعني البدر ، تعبير شعبي ..

باقي على عهدي بها تزهى على حور النعيم
لولا أن في نظراتها بعض انكسارات السهر

قمة المبالغة الوصفية من الشاعر ، حتى وانت في الحلم تلاحظ السهر في عيون محبوبتك وقمة الابداع ايضا ،تزهو على حور النعيم، انكسارات السهر .

إذا لهي تزهو على حور النعيم بجمال عينيها ، واردف الشاعر ليكشف احدى الملاحظات على تلك العيون الجميلة وهي كثرة السهد والارق .

وإلى مشت كل المشاعر في مفاتنها تهيم
ريانة ريحانة تاهت على شاطىء نهر

وهنا في هذا البيت نجد الشاعر يودع محبوبته بطريقة غير مباشرة ، حيث انها تركته واخذت تتوارى في استحياء إلى البعيد ، ريانة ذات قامة حسناء فاتنة ، ريحانة ذات روائح عطرة مبهرة تمايلت في الهواء الطلق على شاطىء نهر متدفق .

هذه القصيدة الوصفية الرائعة التي يشهد لها الواقع دون محاباة او معرفة مسبقة بالقائل . إلا انني والحق يقال وقفت منبهرا امام هذا الوصف البارع الذي جادت به قريحة ابي سامي ولنقف لنتذكر كلمات الوصف ، همس .. نشر .. اسنان كالدر المنظوم وشديد السواد ، وجهه كالقمر .. عينان كعيون الحور .. ريانة .. ريحانه ..

إذا فلو تناول القارىء هذا الوصف لرأى فيه موصوفة خيالية . وإلى اللقاء مع رائعة أخرى يتحفنا بها شاعرنا الفذ محمد ظافر ابو سامي

محمد حوقان المالكي

دروس

سعد زهير

جدة غير والحقيقة غير

جـده (يـا عـالم غير) يـا دنـيـا جـديـده
جـده يـا فـصل احـبـابـك يـا مـوسـم أغـاني
جـده يـا أبـدع بـيـت يـا أعـذب قـصـيـده
جـده يـا تـرنـيـمـه عـلـى شـفـاه الـغـواني

هذا هو مطلع القصيدة مكونة من قرابة عشرين بيتا من الشعر الشعبي الموزون المقفى كتبها الشاعر محمد ظافر الوسامي عام ١٤٠٨هـ عندما حط راحلة الترحال على شواطئ العروس ثم بدأ كالمفتون بها يتغنى بسحرها وعطرها ويغازل اشجارها واقمارها ويهيم بها في شوارعها وعلى شواطئها الحالمة في قصيدة لا يكتبها الا محمد ظافر.

على ان القصيدة هي في الاصل امتداد لسلسلة قصائد كتبت في جدة الا انه كان لها وقعها العامي الجميل في نفوس عشاق العامية ولعل ما يهمنا هنا من هذه القصيدة هي جملة (جدة يا عالم غير) التي اصبحت فيما بعد (جدة غير)!!.

هذه الجملة الخبرية المكونة من كلمتين فقط والتي قد لا تعوز لسنا للزج بها في قصيدة خاصة انا يقينا ان مثل هذه الجملة هي مما تعارف عليه الناس والكلام الذي تعودوا عليه في تخاطبهم اليومي والاحاديث الجماعية على طريقة (انا غير) و (تفكيري غير) و(قصدي غير) و (انت غير عن كل البنات) هذه مفردات مسوقة خطابيا ومتناقلة على السنة الناس في الشارع لدرجة الاستهلاك قبل ان تكون جدة عالم غير او جدة غير!!

ومع مآل هذه التركيبة العجيبة من البساطة والعفوية والتلقائية لدرجة انها لم تكن شيئا مذكورا ، الا انها بعد ان اصبحت شعارا لاقوى مهرجان سياحي في المملكة انتشلت بعدا آخر ولم يكن يخطر ببال احد ان يصبح لها هذه الهالة الاعلامية وان كان كثير ممن يقولونها لا يعرف من اين وكيف جاءت؟!

هذه الهالة اكسبت الشعبي مجداً جديدا وحققت لها شيئا لم يكن يدر بخلده من قبل اذ كيف تضيق اللغة بما رحبت عن ايجاد شعار لمهرجان جدة ثم لا يجدون الا اللجوء الشعر الشعبي واستعارة تراكيبه ومفرداته مع ان هناك من لا يزال يرى الشعر الشعبي مدعاة للأمية والجهل والتخلف ولكن اعتمادهم عليه في مثل هذه المواقف يؤكد ضمنيا اعترافهم به واحترامهم معه!!

لهذا فانه يحق للشعبيين قاطبة ان يشعروا بالزهو وهم يجدون اقوى مهرجان صيفي يستعير لغتهم ليجعل منها شعارا له وماركة مسجلة لاعلان حوثته لمدة خمس سنوات. كما انه يحق لهم وهم في غمرة زهوهم ان يعرفوا ان اول من قارب بين جدة وغير ليس طلال حمزة!!

الذي قارب بينهما هو الشاعر محمد ظافر في قصيدته السابقة الذكر وكل الذي فعله طلال هو قص (عالم) ولصق (غير) فاصبحت بدلا من جدة ياعالم غير، جدة غير.

كان ذلك قبل ان يكتب طلال قصيدته بقرابة ست سنوات وبعد ان اخذت

في اطرف رسالة جنوبية:

الاكلبي يوزع الدرجات على الممتازين

عكاظ – جدة:

باطرف مشاركة.. جاءت رسالة صديق الذاكرة الشعبية عبيد بن علي الاكلبي.. محملة بتصنيف تراثي لابرز ستة شعراء.. من شعراء المحاورة الجنوبية

وهنا نقدم لكم رسالة الاكلبي.. وتوزيع درجاته على الشعراء.. وتصنيفه بعد استفتاء شامل لهم.. فاقرأوا ماكتبه:

الحقيقة انني لم اكن ارغب في المشاركة في هذا الموضوع لثقتي الكبيرة ان هناك من هو اجدر مني واكثر خبرة من هذا المجال، ولكن عندما وجدت ان هناك الكثير من الاختلاف والتضارب في الاراء حول من يستحق لقب الشاعر الاول من شعراء العرضة في المنطقة الجنوبية قمت بعمل استفتاء بين اوساط المهتمين بهذا اللون الفني الشعبي الجميل لمعرفة من هو الشاعر الاول.

وفي هذا الاستفتاء اعتمدت على مجموعة من المقاييس و المعايير التي يمكن من خلالها قياس القدرات الفنية المختلفة للشاعر، وقد اشتمل الاستفتاء على ابرز ستة شعراء من شعراء العرضة المتميزين في الوقت الحاضر وجاءت النتيجة النهائية للاستفتاء على النحو التالي:

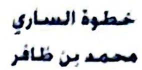
المركز الاول: الشاعر محمد بن ظافر الشمراني
المركز الثاني: الشاعر مسفر بن مريط الاكلبي
المركز الثالث: الشاعر محمد بن ثايب الشمراني
المركز الرابع: الشاعر مبارك بوعلاج الغامدي
المركز الرابع «مكرر» الشاعر صالح بن عزيز القرني
المركز السادس الشاعر سعيد بن هضبان الحارثي

والجدول التالي يوضح المقاييس التي اشتمل عليها الاستفتاء والدرجات التي حصل عليها كل شاعر من الشعراء

وقد اشتمل الاستفتاء على عشرة مقاييس ولكل مقياس عشر درجات ليكون المجموع النهائي للدرجات مائة درجة

وفي الختام آمل نشر هذا المقال في القريب العاجل ايمانا بحرية الراي وحتى نضع حدا للحديث حول هذا الموضوع. مع خالص شكري

المقاييس	ابن ظافر	ابن ثايب	ابن مريط	ابن عزيز	ابن هضبان	ابو علاج
غزارة الشعر	٨	٩	٧	٧	٧	٨
مستوى الشاعر في جال البدع	٩	٩	٧	٧	٨	٩
مستوى الشاعر في مجال الرد	٧	٨	٩	٩	٧	٨
قوة المعاني ودقتها	٩	٧	٩	٨	٨	٧
سرعة البديعة والفهم	٨	٧	٨	٨	٨	٨
تطويع المفردات لغرض الشاعر	١٠	٩	٨	٧	٧	٨
الثقافة وسعة الاطلاع	٨	٨	٧	٨	٧	٧
النفس الطويل	٨	٨	٨	٧	٨	٨
الهدوء وضبط الاعصاب	٨	٦	٩	٧	٦	٧
الترفع عن سفاسف الامور	٨	٦	٩	٨	٦	٦
المجموع النهائي	٨٣	٧٧	٨١	٧٦	٧٢	٧٦



خطوة الساري
محمد بن ظافر

صحافة

محمد بن ظافر يعلنها عبر «الشعبي»:

يعجبني من شعراء العرضة .. المتنبي .. وابوفراس ..



ابن ظافر — الشمراني — محمد بن ثابت — سعد زهير



● محمد بن ظافر

عبد الواحد ، محمد بن مصلح ، محمد بن ظافر ، وغيرهم وكانت النتيجة من خلال الرسائل والمكالمات الهاتفية كالتالي

● الاول في سرعة البديهة . صالح بن عزيز

● الاول في عمق المعنى . محمد بن ظافر .

● الاول في جمال الاسلوب . عبد الواحد الزهراني .

● الاول في غزارة الشعر . محمد بن ثايب

● الاول في التركيب اللغوى وقوة العبارة . سعيد بن هضبان

● الاول في اتقان الجناس (الشقر) . الاعمى ابو جعيدي .

● الاول في حسن الصوت . محمد بن مصلح .

اما الشعراء الاخرون فقد وصلت اهم ترشيحات لكنها ليست بحجم ترشيحات هؤلاء . ومن خلال هذا الاستفتاء تبين لنا ان لكل شاعر خصائص عدة لكنه يمتاز بخاصية واحدة . ولعلنا ادركنا الان الهدف

من طرح هذا الاستفتاء اذ يظنه البعض تمييز شاعر على اخر او اختيار احد دون احد لكن الهدف الحقيقي هو معرفة خصائص الشعراء ومميزات كل منهم ومواجهتهم باخطائهم لاسيما ما يتعلق منها بالنيل من الاخرين والتطاول عليهم بأبشع الالفاظ وانبذها وليعلم من هذا وضعه

ان لم يتدارك نفسه ان مصيره الافلاس فالمجتمع يرتقي يوما بعد الاخر فهما ووعيا وتصورا وادراكا ومتذوقو شعر العرضة الحقيقيون ليسوا بالغوغائيين الذين يطلقون الهتافات والصراخ والتصفير لسماع قصيدة نابية ساقطة القدر لكنهم اولئك الذين ربما يتابعون من بعيد عن طريق الاشرطة او المجالس الشعرية او المتذوقين لجميل الشعر حين القائه غضا . يسمو فيسمو المتذوقون معه ويحلق في الافاق الجميلة فيطير بالدهشة الى حيث المدى الارحب والاجمل .

● عبدالله بن زهير الشمراني

مضارب البلاد

○ أعتز بانني استطعت ان أفوز بالجائزة الأولى في الشعر

لقاء مع الشاعر

محمد ظافر أبو سامي الشمراني



● الأمير سعود بن بندر



● سعد الرشيدي الشمراني



● محمد ظافر الشمراني

خطوة الساري
محمد بن ظافر



محمد بن ظافر قيمة وقامة ابداعية

علي الدويحي

لم أكن أعلم ان الصدفه - التي أيقنت أنها اليوم (خير من ألف ميعاد) - ستجبرني وعلى مدى ٢٥ عام في السير بعكس اتجاه البوصلة (من الشمال الى الجنوب) وتحديدا إلى بلاد شمران ، المغمورة بشمس الظهيرة وتنتظر الليل على أحر من الجمر لتدون أساطير (ابن ظافر) المخضبه بالمفردات الطرية.

وفي ذات يوم وبين زحمة الدكاكين أرى بعين (الجنوبي) دكان صغير تفوح منه رائحة الإبداع ونكهة المكان كتب على دفة الباب (لبيع أشرطة العرضه) منزويا في احد أركان عدد من البقالات والورش على شمال الذاهب الى أبها وعلى يمين العائد إلى الباحة ،وكأن هذا الدكان ارتكب خطاء ليقع بين محل لبيع (الغاز) ومتجر توشحه كغيره (المسا فع الملونه والثياب المطرزه ، والأواني المعلقه على أبواب اغلب المتاجر بالبشائر) ولم يؤنسه سوى صوت الشاعر العذب /عبدا لله بن بركي (اطال الله في عمره) الذي ينبت في اغلب أوقات العصريه بعد عناء سفر مع بعض مجابيله ليهطل عليهم بكرم..

(انا ما موتي إلا برقعن وإلا شوالي

في زمانك يحطون الخطل واللاش والي)

دلفت الى هذا الدكان وانتزعت حفلة ابن ظافر!!

وقبل ادارة مقود السيارة أشعلت موجة المسجل لينطلق صوت ابن ظافر:

حد شرم الشيخ بيد الاسد والقنطره

فجاءه يتوقف الشاعرعن الغناء ويقول:

(هي القنيطره ولكن تجاوزا يجوز للشاعر يصرف ما لا يجوز لغيره)

ليواصل الغناء..

مدري السادات في رحمة والا عذابي

بعد ما الخطّر كسرها وليا اقفالها

من هنا بدأت لي رحله جديدة مع الشاعر / محمد بن ظافر بطعم (التمر) المفرده التي لا تكاد تخلو من نسيج قصائده وتتخللها كما تتخلل سعف النخيل ، حيث رقصة الضوء وايقاع الريح..

والتحيه ذوقها ذوق تمر قص /دوبه

لاهل جودات نهار القصى/ يدونها

وفي الشريط الاخر :

الذي صاب الهدف بالمقمع فين صابي

هابو البدوان منها ومن صلالها

وفي الثالث :

ابن ظافر على صفه وجيله وجيله

لو تزيف له الايام ما انغر بها

حتى اخر حفله احضـرها ويحضـرها ابن ظافر نفسه (على مايبدو) جمعته مع ابن ثايب وخلف ابن مارق بالاضافة الى ابن طمام وعثمان بن غرم الله (رحمهما الله)قال:

كيف ما شفت الرواسي من اعجاجي

والمزارع في الضحى مات ليمونه

الشـاعر محمد بن ظافر الشـمراني قيمه وذاكره ابداعيه تستحق ان تروى ، لم يتفق شعراء العرضه الجنوبيه على قيمة شعريه ضاهت (ابوسامي) وذلك موثق بالصوت في (كاسيت) المحاورات وبالارقام على صفحات الذاكرة الشعبيه بجريدة عكاظ ابان اشرافي عليها حتى تساءلت كثيرا هل هي الرياده ، ام امتلاكه مشروعا شعريا ،ام سر شخصي ام كل هذه مجتمعه.

من محاسن الصدف واثناء دراستي بجامعة ام القرى تعرفت على كثير من الاخوه (الشمارين) ومن بينهم سـعد بن على الشـمراني من اهالي باشـوت ويقطن تباله كانت تربطه بابي (سامي) علاقة جوار اغبطه احيانا الى حد الحسد علي هذه الجيره) ومخبوء مثلي بارتحال (ابن ظافر)الفكري .



خطوة الساري
محمد بن ظافر





بدع من الشاعر محمد بن ظافر

ياولي السما يامن خذيت العهد منا سلام

حين كونت ابونا ادم خذيت العهد منا سلامي

ان ماجابه المرسول دين(ن) عليه امسلمين

كل فكر(ن) الامازان قوله وعاصمة الدول

ولا منا في الفرحه ضحكنا وفي منعه صمتنا

فهدنا ياولي العرش الاسلام درب(ن) فهدنا

والذي ايقول للفنجال شفته ولدوله ولي

قل لمن ساعد اهل الشام في حاجتن ساعده الايمن

ولا به واحد يسلا معونه ويسلم ساعده

وانا قدر النشاما سرت والساير معا الدرب عين

قصدي اسمع الحضار من شعر حوبه صبحو به

لي قصايد تهمش للمعاني ولحكامه مشت

مايروعني المعنى ومن لنس ولجن به دروع

ارد البحر ذا صافي ومن لنس ولجن به دروعي

مثل مافارس(ن) ورد جواد(ن) تردد سايسه

اعرف الساحر القمار وان شافني ماصدق امره

والحجر لو حذف في عالي النخل مانفذ تمر

الرد من الشاعر صالح بن عزيز

لهل الحفل واللي جاوره واجب(ن) مني سلام

وهل الدار والدوار والدايره مني سلامي

والغايب بلغوه انا كذالك عليه امسلمين

كلنا اخوان نحمي عاصمتنا وعاصمة الدول

نحتمي راية التوحيد وامر الفهد من عاصمتنا

انت لك قايد.... الله انه يسلم فهدنا

وبو متعب لبو فيصل عضيد(ن) ولدوله ولي

في دمه ساير الأخلاص وعلى الشقا ساعده الايمن

ياعسى يسلم الفهد المفدى ويسلم ساعده

مثل عود(ن) بجيشن من صناديد ومعد اربعين

ساروا من الكويت وقصر عجلان صبحن صبحو به

والجزيره بعده استسلمت له وبحكامه مشت

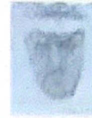
الوطن غالين وحنا لباسه ولجنوبه دروع

مايجيه الخطر وحنا لباسه ولدروبه دروعي

ون لقا الساس غش(ن) لازم انه يردد سايسه

صالح ايقول لويامرني المعتدي ماصدق امره

قلت انا مسلم(ن) ولغير مولاي مانفذت امر



خطوة الساري
محمد بن ظافر





بدع من الشاعر محمد بن ظافر

صدام يوم اقبل تغيره شياطينه
في قلبه الاحقاد والغدر في عينه
ايسوق جيشٍ ما تلاحق طوابيره
ويحسب ان ما في بلاد العرب غيره
رفرف علمنا والطوابير منصوره
وفي ساحة الخفجي عطينا لهم دوره
تظل ذكراها للاجيال منشوره
ان عاد عدنا والمنهى ورى دجله
ماتقنع البصره ولاشط بغدادي

وبدع آخر للشاعر

التاجر اللي مايعدل موازينه
للزهر حين وتدري ان للجنا حينه
يوم المريكي ماكفته السما ديره
جاز الفضا من غيرفيزه وتأشيره
وانا البحر لاني بامره ولاازوره
الا انتكن روحي لشوفته مجبوره
ولا نزلت اديار وبلاد مهجوره
وكل قاضي ماندور سوى عدله
ولا انفي الضالِ ولا منفي الاجوادي

أكبر جريمة

البارحه يا محمد هاضت أشجاني
وقضّيت ليلي مع الذكرى القديمه

ذكرى هذاك اللي أشقا الروح وأشقاني
وأسقاني الغبن وألبسني الهزيمه

وضحّك عليه عذول كان ينهاني
وصدّق بي أهل الوشايه والنّميمه

ولا أعطاني الوقت وآحاكيه بلساني
واحلف له إن كلّ ما قالوا ظليمه

حكم عليّ وقضا من غير برهاني
وأجرم بحق الغرام أبشع جريمه

وطبعاً عصيته ولا لي غيرعصياني
وبعّدت قلبي ولو بعده يضيمه

فمن حقي أنسى واجاي إنسان جافاني
وأهديه للي يبيه بدون قيمه

فاللي ما للحب عنده قدر وأثماني
ما يرّجى من ورا عرفه غنيمه

العيون الناعسة

قلت العيون الناعسة ما تحتمل كذب و سهر
اهي خلقها الله لقلوب المحبين انتحار
لما امتزج فيها هدوء الليل و غموض البحر
و أضفى عليها السحر ما يشبه بريق الانتصار
حتى السطور إلى لمحتيها ملأتيها قهر
و الى نطقتيها دفعها الخوف منك للفرار
هي ودها لو تنغمس في سكر شفاتك دهر
لكن ذكاك الخارق يحرم عليها الانتظار
قالت وش اسوي مادون الاختبار الا شهر
ملزومة اراجع دروسي و اجتهد ليل و نهار
و اللي يبي شهد النحل يصبر على وخز الإبر
و االلي على النصر انفطم محال يرضى الانكسار

ياسعد

ياسعد مبروك الزواج ودام فرحك والسعد

وعساك تحيا العمر كل العمر بافراح الزواج

تستقبل الدنيا الجديده بالرفاء وبالولد

لاكدر الله لك صفا لاعكر الله لك مزاج

وبعد الدعا الصادق تزود للسفر صبر وجلد

وان قابلك وجه التعب لاترفع ايديك احتجاج

ولايشغلك ماضي العمر، العمرماينساه احد

خل المسافه تختفي من وجه غارات العجاج

وانزع تقاويم الصبا من ذاكرتك الى الابد

وبين المرايا والصور حطم مسارات الزجاج

كل الهدايا والقصايد والرسايل ياسعد

افتح لها باب الظلام وريح عيون السراج

وابعد عن اطلال الديار ومن تناءى وابتعد

استعذب النسيان والنسيان لجروحه علاج

ومادام حاط بك القفص ملح بعيون اهل الحسد

احذر يضيق بك الزمن او يعتريك الانزعاج

تعاقب فصول السنه ويزيد بحسابك عدد

عام يودع عام والاحداث شده وانفراج

وان واعدك طفل جديد وجاك باشواق الوعد

اشعل قناديا المسره والهنا والابتهاج

وياسعد مبروم الزواج وعشت في انس ورغد

وما بينك وبين الشقا مد الله وساع الفجاج

خطوة الساري
محمد بن ظافر





جدار الخوف

ألا يازين عيني ما بقا فيها لغيرك شوف
تشوف الناس في صوتك وفي صورتك مخلوقين
لحد إني أهرّجهم واشوفك جازع ملهوف
تطالعني بعينك وآتلفت بين حين وحين
وصورتك بعيوني صارت أكبر من جدار الخوف
تتيه بلونها الزاهي وتلفت أعين الماشين
ومن خوفي لا يبصرك ويعرفك واشي مكشوف
أغمّض وأحضنك برموشي وبرضي أخاف تبين
لكنك ما ولا مرّه ذكرت الواله المشغوف
وجاملته بكلمه أو ولو حتّى بنظرة عين
وأشعرته بذرّه من حنانك يا أهيف السرجوف
تعيد له الأمل وترجّعه في عالم الحيين



وش اللي بدّل أفكارك وغيّرطبعك المألوف

وبدّل صورة الماضي الجميل وغيّر التلوين

وش اللي رخّص الغالي وكنسل شيكه المصروف

وأخبرك إن ما عنده رصيدٍ يوفي التديين

وش اللي قالوا إلك الناس من شعرٍ بدون حروف

يحرّك دقة الوجدان ويغنّي بلا تلحين

لحتى أنك نسيت المعرفه يا لابس المكلوف

وهدّيت بدقيقه ما بنيناه بثلاث سنين

ولا بينت لي كرهك ولا أخفيته عن الملقوف

بين البينين تلعب لعبة اللاعب على الحبلين

فرجاي إن كان باقي عندك إنسانيه ومعروف

تريّح طريف الساهر وترحم قلبي المسكين



خطوة الساري
محمد بن ظافر



جدة

جده ياعالم غيريادنيا جديده
جده يافصل اعياد ياموسم اغاني
جده يا اروع بيت يا ابدع قصيده
جده ياترنيمه على شفاه الغواني
جده ياتحفه في خصايصها فريده
جده يا آيه ماتطوقها المعاني
جده يا اغرب قصه تنشرها جريده
جده يا احلى رعشه تسري في كياني
جده يامركب شوق مرساته بعيده
جده ياضحكة فجر ياواحة مُعاني
جده ياموكب عشق يارحله سعيده
جده ياعمر حساب ساعاته ثواني
جيتك من القريه وانا افكار طريده
عدى عليه الوقت وبهمه طواني
جيتك ليالي سهد وايام جهيده
احمل معي ذكرى المناجل والسواني
جيتك تطوح بي احاسيس عنيده
ملت عناق الصمت واحضان الاماني

مالي مع الفرحه علاقات وطيده
لكن سرقت اسبوع من غفلة زماني
ولقيت روحي فوق شطآنك شريده
تهيم بعيون الرعابيب الحساني
وتجاوز الابعاد بخطاها الوئيده
وعند الغروب تودع الشمس بحناني
وقصايدي صارت خيالات مديده
تزدان بالالماس وعقود الجماني
وعيني حكت لي فيك رغبتها الاكيده
وانا عرفت انك من الدنيا مكاني
فيك اللي احلم به وفيك اللي اريده
فيك الشعور اللي غمرني واحتواني
وفيك الحياه الوانها الوان عديده
ماهي فقط اسود وأصفر وارجواني
دام البحر وانتي عروسته الوحيده
وتحرقت بالغيره قلوب المواني
اسبوع ليت الله على عمري يعيده
أو ليته يسجل بداية عمر ثاني



عودة نحو البدايات الأولى

محمد ظافر أبو سامي

أن يعود المرء أدراجه ليتذكر خطواته الاولى على دروب الحياة أمر في غاية الصعوبة، لكنني سأشحذ الذاكرة وأتحدى الشيخوخة ما استطعت إلى ذلك سبيلا تحقيقا لرغبة أخي وصديقي سعد زهير الذي حمل على عاتقه مهمة التحليق بي معه في كل مكان يرحل إليه صحفيا وإذاعيا وتلفزيونيا بدء من ديوانيته في جريدة الرياضية الى برامجه في الإذاعة الى برامج التلفزيون وانتهاء بهذا الاصدار الذي طوقني به وتحمل كافة أعبائه ، وكأنه مع أخيه وأخي عبدالله زهير تابعا مسيرة دعمي وتشجيعي تلك التي بدأها والدهما - أمد الله في عمره- حينما كان غيره يقصينا من ساحات العرضة فيقف مجابها لهم ويأخذنا اليها مرة أخرى حالفا علينا وعليهم أن نلقي قصائدنا ، تلك من المواقف التي لن أنساها لهذه العائلة الكريمة وأجدني مأسور بنبلهم وأخلاقهم جميعا وقد ذكرت ذلك مرات كثيرة في غيابهم .

- كانت ولادتي – كما ذكر لي أخي- رحمه الله رحمة واسعة- في عام ١٣٨٠ للهجرة، وفي شهادة الميلاد التي حصلت عليها عام ١٣٩١ هـ أضفت إلى سنوات عمري الحقيقية خمسا مزورة، لكي أحصل على (التابعية) بعد شهادة الابتدائية، فكانت ولادتي عام ١٣٧٥ للهجرة، وكان التحاقي بالمدرسة عام ١٣٨٧هـ.

- مات والدي – عليه شآبيب الرحمة – قبل أن تختزن ذاكراتي شيئا من ملامحه، وفيما يشبه الحلم أتذكر عويل النساء وبكاءهن في بيتنا – ذات صباح – لكنني لم أدرك سبب ذلك إلا حين جرحتني مخالب اليتم وادمتني أشواك العمر...

- حملت أمي – أطال الله عمرها- عبء تربيتي وتعليمي رغم قلة ذات اليد وقسوة الزمان وثقل المهمة. واوقدت سنوات شبابها شموعا أنارت ظلمة الطريق أمام خطواتي المتعثرة، وبتفوق على مستوي منطقة بيشة التعليمية – آنذاك- نلت الشهادة الإبتدائية عام ١٣٩٣/٩٢ هـ.

- سافرت بعدها إلى الدمام وعملت ساعيا في أحدى الشركات خلال النهار ودرست الصف الأول المتوسط ليلا ، لكن حبي الشديد للتعليم أعادني إلى مواصلة الدراسة نهارا فالتحقت بمتوسطة العلاية ومنها حصلت على الشهادة المتوسطة في عام ١٣٩٦/٩٥هـ.

- التحقت بعد المتوسطة بأحد المعاهد التابعة لأرامكو ومكثت فيه عاما واحدا، قبل أن التحق بالعمل

الحكومي في وزارة الداخلية، وفي إمارة منطقة عسير تحديدا، وعينت كاتبا بالمرتبة الثانية في مركز القعرة – أنذاك- وأكملت دراستي ليلا في ثانوية العلاية ومنها حصلت على الشهادة الثانوية عام ٩٩/١٤٠٠هـ.

- استقلت بعدها من الإمارة والتحقت بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية فرع ابها، ومنها حصلت على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية عام ١٤٠٤ /١٤٠٥ هـ.

- عينت معلما للغة العربية في متوسطة وثانوية أدمة شمران وباشرت التدريس بتاريخ ١٤٠٥/١١/٢٧هـ وبعد قضاء عامين دراسين فيها أنتقلت إلى متوسطة وثانوية ختعم بموجب الحركة الداخلية للعام الدراسي ١٤٠٨ هـ ومكثت بها إلى أن كلفت بالعمل موجها تربويا لمادة اللغة العربية إعتبارا من ١٤١٢/٣/٢٠ هـ وحتى ١٤١٥/٤/٦هـ ، ثم وكيلا لمتوسطة وثانوية ختعم حتى رشحت للإشراف على النشاط الثقافي ابتداء من ١٤٢٠/٦/١٥هـ وبقيت في هذا القسم حتى تقاعدت تقاعدا مبكرا أبتدا ء من ١٤٢٨/١/١هـ .

- أشتركت في الكثير من الدورات التنشيطية التي كانت تقام لمعلمي ومشرفي اللغة العربية.

- دورة في الإشراف التربوي

- دورة في الإخراج المسرحي

- المشاركة في المهرجان المسرحي الذي تقيمه وزارة المعارف من كل عام (الدمام – عنيزة – الباحة)

- تلقيت عددا من خطابات الشكر والتقدير في مجال العمل التربوي منها:

- شهادة شكر وتقدير من ادارة مدارس ادمة شمران على التحلي بالايجابية الفعالة ماديا ومعنويا في تنظيم وتنسيق مبنى المدارس في ١٤٠٦هـ

- شهادة المنطقة من الدرجة الأولى تقديرا للعطاء المتميز في مادة اللغة العربية بالمرحلة الثانوية لعام ١٤٠٩هـ

- شهادة المنطقة من الدرجة الأولى تقديرا للجهود المتميزة في أداء الرساله للعام الدراسي ١٤١٠هـ

- خطاب شكر على الجهود المتميزة والمتابعة المستمرة والمشاركات ورعاية النشاط الثقافي خلال العامين ١٤١٣-١٤١٤ هـ

- خطاب شكر وتقدير على المساهمة المتميزة في مجالات النشاط الطلابي وخاصة النشاط الثقافي للعام الدراسي ١٤١٤/١٤١٥ هـ

- جائزة ابها للتعليم العام (النشاط العام) ١٤١٤ هـ.

- شهادة تقدير ودروع من اللجنة العليا للجنة الدولية للشباب ١٩٨٥ م تقديرا للمشاركة والجهود المبذولة في المساهمة في أعمال السنة الدولية للشباب.

خطوة الساري
محمد بن ظافر

أما علاقتي بالشعر فأذكر أنني في البداية كنت شغوفاً لسماع الشعر أياً كان نوعه لكن قلة المصادر التي يمكن للمرء أن يطرق أبوابها جعلت حصيلتي تقتصر على ما كنت أسمعه في برامج البادية وما اسمعه من بعض الرواة خاصة الراوية المشهور محليا (على بن عبد الخالق) الذي كان يحفظ الكثير من قصائد العرضة لمشاهير شعرائها، ورغم قلة المناسبات التي كانت تقام أنذاك إلا أنني كنت مبهوراً بما سمعت ومارأيت .واستوقفتني شاعرية « أبو جعيدي» رحمه الله وقد حل ضيفاً مع قبيلته على آل حارثيه وكأني اسمعه الآن يقول:

اكريت بالفين(ن) على سابقات الصوت

لعلي آصل في دمه قبل ياجي الموت

اليوم ضيفان وبكره نزور العاني

ماني بلاش ولي في اللاش ماريه

أو وهو يقول:

منا سلام الله لشمران

من عند بروحا لبروح

وكنت أعجب بما اسمعه من قصائد قليلة للشاعر الكبير خالد بن عبد الله .رحمه الله . يرويها البعض في مجالس السمر الخاصة، من وقت لآخر.

وسمعت وشاهدت لأول مرة محاورة بين أطراف أربعة إذ يقوم أحد الشعراء بالبدع ويرد الآخر عليه مباشرة وهكذا.. وأذكر أنني بعد هذه الحفلة بدأت المس في نفسي القدرة على نظم شعر العرضة واللعب الشهري.وقد حاولت المشاركه مرات عديده لكن الابواب كانت توصد في وجهي لصغر سني وربما في وجه كل من يحاول اقتحام هذا المجال.وربما اتيحت لي الفرصة في رحلات المدرسه او احتفالاتها فشاركت بقصيدة او اثنتين، وهذا خلال المرحلة الابتدائيه.

ومن المصادفات الجميلة حقاً أن يصل الى المدرسه . وانا في الرابع الابتدائي . استاذ أدين له بالكثير الكثير في حياتي العلمية والعملية فضلا عن الشعرية، الا وهو الاستاذ شفيق عبدالله حامد .

فعلى يديه بدأت أتذوق اللغة وأُعجب بالشعر الفصيح الذي كان يمليه علينا تطوعا ، وما زلت اتذكر بعض المعلقات التي حفظتها قبل أن انال الشهادة الابتدائية حتى الآن، وقد تعزز هذا الجانب خلال المرحلة المتوسطة بفضل الاهتمام الكبير الذي أولاني اياه استاذي واستاذ الأجيال محمد سعيد بالريش .رحمه الله رحمة واسعة . إذ كان يهديني بعض الكتب الأدبية ومن ثم يناقشني فيما احتوته من معلومات،

أذكر منها: سبائك الذهب، وجواهر الأدب للسيد المرحوم أحمد الهاشمي.. وغيرها من كتب مصطفى صادق الرافعي ومصفي لطفي المنفلوطي والعديد من كتب الادب والثقافة .

وفي الصف الثاني المتوسط - تحديدا - كتبت أول قصيدة متكاملة في رثاء الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله عُلقت في مكان بارز، واحتفى بها الجميع ، وفي نهاية ذلك العام كتبت قصيدة ترحيبية بالأستاذ والمربي الفاضل سياف بن عامر آل خشيل الذي تولي إدارة التعليم في ذلك العام، وشرف متوسطة العلاية بزيارته الأولى، وظللت أشارك كل عام بقصيدة فصيحة رغم تحولي إلى الدراسة الليلية في المرحلة الثانوية، وهي قصائد في معظمها تستدعي التاريخ وتستثير الهمم بتحرير المسجد الأقصى .

أما بدايتي مع شعر العرضة - فكانت تقريباً خلال السنة الأولى من المرحلة المتوسطة (٩٤هـ). ففي الدمام وفي إحدى أمسيات العيد الخاصة نظمت قصيدة عرضة واسمعتها الساهرين ليلتها من الأقارب والأصدقاء واحتكمنا إلى أحد شعراء القبيلة المعروفين حينما استكثرها البعض علي ، فكانت الصدمة كبيرة على نفسي ، وهو ينكر أن تكون تلك القصيدة لشاعر مبتدىء بقوله: (الله يصلحك يابوك ..هذي لرامي والا لموسى) غير أن البداية الجادة في شعر العرضة كانت بعد ذلك التاريخ بعامين تقريباً.

خلاصة القول : ليست هناك حدود فاصلة بين البدايات الثلاث ، غير أنه يمكنني القول بأن اهتمامي بالفصيح كان أبرز من غيره في الخمس السنوات الأولى من مسيرتي الشعرية . ثم زاد اهتمامي بشعر العرضة والنظم شيئاً فشيئاً بوجود بيئة صالحة لإنماء روح شاعر العرضة جعلتني أخلص لها في فترة زمنية عرفني من خلالها الناس بهذا اللون دون غيره فيما كان الأخ والصديق الأستاذ عبدالله زهير يدفعني بقوة نحو شعر النظم من خلال صفحاته في جريدة البلاد والتي قدمت من خلالها. بالإضافة الى صفحة الديوانية التي كنتم تقومون بإعدادها في الرياضية. عددا كبيرا من قصائدي التي عرفني من خلالها محبوا هذا اللون، ورغم ممارستي لكلا النوعين بنفس الدرجة تقريباً إلا أنني عرفت أكثر من خلال شعر العرضة ، وكثيرون. على المستوى المحلي. إلى الآن لا يعرفون إلا شاعر العرضة فقط.

×× مواقف كثيره مبهجة ومواقف اكثر محزنة عشتها خلال مسيرتي الشعرية التي أمتدت قرابة ثلاثة عقود لكن الموقف لايستدعي ذكرها ولا أريد أن أتذكرها ،دعني فقط أعش زهو ونشوة هذا الموقف المبهج الذي غمرني به الأوفياء والكرماء من أبناء القبيلة حفظهم الله ، فهو كفيل بأن يملأ النفس بهجة وسروراً . ماذا يبغي المرء فوق هذه الحفاوة وهذا الاهتمام وهذا التقدير الكبير له ولشعره المتواضع ؟





شكر خاص

للأستاذ الشاعر حسين بن فهد القحطاني، لحرصه الشديد على المشاركة في تكريم الشاعر محمد بن ظافر ومساهمته معنا في طباعة هذا الكتاب.

الإخراج وصور المناظر (سالم باسبعين) - تمت الطباعة بمطابع السراوت بجدة

خطوة الساري

نظرت خلفي ما لقيت لخطوة الساري أثر
ونظرت قدامي لقيت هموم تهد الجبال
الليل داجي والرمال الزاحفة موج وبحر
وش خطوة تدفع بها الظلما لكثبان الرمال
ولما أصبح الصبح اكتشفت أن السفر لعبة قدر
سريت بجبال الجنوب واصبحت بطعوس الشمال
لحظة تأمل عشتها فيما نزفت من العمر
لكنها خلتني أسأل نفسي أكثر من سؤال:
عن دمعة الطفل اليتيم وقسوة قلوب البشر
وظلم لقاه من القريب أشد من وقع النصال
عن من قضى نصف العمر يحفر باظافره الصخر
ولا زال يشويه العطش ولغيره الماي الزلال